٢٢٨٦
/
٤٠٤٣٢

شعارنا الوحيد

إلى

الاسلام

من

جديد

العدد الأول

المجلد الخامس عشر

جمادى الأخرى ١٣٩٠هـ

أغسطس ١٩٧٠م

البعث الإسلامي

تصدر :

في ندوة العلماء

لكهنؤ (الهند)

مؤامرة جديدة

المعركة الكبرى التى تدور اليوم فى العالم الاسلامى معركة «اسلام» و «لا اسلام» و نحن نرى أن البلاد الاسلامية التى لم تذق عذاب الثورة والاشتراكية — ولا قدر الله — أو لم تجرب حظها فى هذا «اليانصيب العام» بتعبير أصح ستكون مسرحاً قادماً لهذه المعركة الكبرى بطبيعة الحال ، فقد كثرت حولها الأغراض والمصالح ، و حامت حولها الذئاب و الكلاب ، وبدت الأصابع التى تدبر فى الظلام رغم غاية الحيطة و الحذر و الكتمان .

فنرى من واجبنا كأعضاء أسرة واحدة أن نشير إلى نقطة الخطر و ننبه القادة و المسؤلين إلى تلك الأيدى الخفية الماكرة التى تحاول إفساد الشباب حتى لا يستطيع المقاومة و الصمود عند ساعة الصفر ، و يخلى الميدان للعابثين الحمر .

فليكن ردنا على هذه المؤامرة عن طريق الاعداد التربوى و الخلقى و العسكرى لجيلنا الصاعد ، و تعضيد العناصر الاسلامية المخلصة ، والتخلص من عناصر دخيلة مشوهة و اتباع لينين و ماو و القضاء عليهم قبل أن يسوقوا هذه البلاد الآمنة إلى أسرتهم الاشتراكية المتلاحمة و جحيمها المسعرة التى وصفها القرآن :

«كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعاً ، قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ، قال لكل ضعف ، و لكن لا تعلمون» ،

إنها شهادة نوديها فى سبيل الحق ، فسجل يا زمان إذا لم تجد لها الآذان . واحفظها يا تاريخ إذا لم تحفظها القلوب ! !

البعث الاسلامى

العدد الأول

المجلد الخامس عشر

البعث الاسلامى

جمادى الأخرى

١٣٩٠ هـ

أغسطس

١٩٧٠ م

البعث الاسلامى

(ندوة العلماء)

قامت ندوة العلماء على مبدء الجمع بين الدين الخالد الذى لا يتغير وبين العلم النامى الذى لا يتحجر ، بين صلابة الحديد فى الثبات على العقيدة ، و بين نعومة الحرير فى اقتباس العلوم النافعة ، فبينما العالم الدينى فى عقيدته وعبادته جبل ثابت ، إذا هو فى علمه و دراسته وتقدمه نهر عذب جار ، و بينما هو فى نصوص الدين وعزائمه مرابط على الثغر وحارس للامانة ، إذا هو فى تفهيمه و دعوته جندى مهاجم و مسلح على أحداث طراز ، وبينما هو فى الأول لا يعرف الهوادة إذا هو فى الثانى لا يعرف الجمود .

دورنا فى المعركة

إن قراء « البعث الاسلامى » ليسوا مشتركين رسميين أو زبائن يشترونها كما يشترون بضاعتهم كالمواد الغذائية والتموين ، إنهم قبل كل شئ دعاة و مرابطون ، فليكن دورنا و دورهم فى هذه المعركة الضارية ، الحاسمة الفاصلة دور من يتفطن للخطر الحقيق و يخرج للعمل الصامت الدؤب و يؤدى واجبه المنتظر الكبير حسب ما تقتضى به الظروف ، و لا يصر على أسلوب خاص و تكتيك خاص ، بل يغير فيه كلما دعت إليه الحاجة ، و اقتضت به المصلحة فى حدود معالم الشريعة ، و فقه الدعوة ، و ضوء الكتاب و السنة .

رئيس التحرير : محمد الحسنى

مدير التحرير : سعيد الأعظمى

الفهرس

مع الاسلام و لكن ..... ؟ — محمد الحسنى — ٤

التوجيه الإسلامي

هذه هى المعركة ! — الأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى — ١٠
موقف الحضارة المعاصرة من الهداية السماوية — فضيلة الأستاذ السيد أبو الأعلى المودودى — ١٤
الفكرة القومية فى ميزان الاسلام — فضيلة الشيخ يوسف القرضاوى — ٢٠

الدعوة الإسلامية

السنة دليل شرعى كالقرآن — الاستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله — ٣٢
الاصالة الفكرية والهوية الروحية — فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى — ٤١
الدرس الاخير فى باب التوحيد — فضيلة الشيخ محمد منظور النعمانى — ٤٧
تهنئة و وصية .. ! — فضيلة الشيخ عبد البديع صقر — ٥٣

دراسات وأبحاث

نزهة الخواطر و بهجة المسامع والنواظر — الأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى — ٥٨
المسعودى ـ المؤرخ الكبير : حياته و إنتاجه — الأستاذ أبوبكر الحسنى — ٧١

إقتصاد في ضوء الإسلام

تاريخ الاشتراكية الماركسية — الأستاذ المرحوم مسعود الندوى — ٧٧

في رياض الشعر والأدب

الكتابة العربية قبل النهضة وبعدها — الاستاذ محمد الرابع الندوى — ٨٥
حان الرحيل فبادر بالرجوع إلى . (شعر) — فضيلة الشيخ محمد سراج الحق — ٨٨

ربانيون

الامام أبو زكريا النووى — سعيد الاعظمى الندوى — ٩٠

العالم الإسلامي

تحية إلى الصحافة الاسلامية فى الكويت — محمد الحسنى — ٩٦
أخبار اجتماعية وثقافية — قلم التحرير — ٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أخى «الإسلامى» .. لا العربى أو الأفغانى .

أخى فى العقيدة والدين لا فى التراب والطين

أخى على درب الإيمان والجهاد . وطريق السمو والنضال

أخى فى النضال والكفاح . والتضحية والفداء

أخى فى الحق والصبر فى الوطن أو المهجر

أخى فى مهبط الوحى . ومنتقل الإسلام ومنبع الصبح الصادق

فى ليل الإنسانية الغاشى ،

أخى فى زهرة الصحراء ودرة الخليج بين الرياح العاتية ، و

أخى فى أرواح النارية .

أخى فى اليأس والرجاء . والشدة والرخاء

أخى فى الله اختصارا وإيجازا

نقدم إليك هذا العدد الجديد تجديدا ، وتذكرا وشكرا

ووفاءا ورمزا للتعاون الوثيق والحب الإسلامى الذى

أكرمنا الله به فى وقت عم فيه الجحود بنعمة الإسلام وفضله

سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام !

محمد الحسنى ـ سعيد الأعظمى

٢٠ جمادى الأولى ١٣٩٠ هـ

مع الاسلام و لـكن .. ؟ ؟

نحن كلنا مع الاسلام ، ما فى ذلك شك ، مع الاسلام فى الهند ، و باكستان ، و مصر ، و سوريا ، و الحجاز و الكويت ، و فى كل بلد إسلامى و فى كل جبهة إسلامية .

نحن مع الاسلام دائماً ، و بصفة عامة ، والحمد لله على هذه النعمة العظيمة الباقية إن شاء الله .

و لكن .. ؟ »

إن « لكن » هو الفارق الوحيد الأساسى بين إسلام وإسلام ، بين إسلام لا يرى عليه ضرراً من أى حركة سياسية ، ولو خالفت أهم قواعده ، و أولى مقوماته ، و ينسجم مع سائر الأوضاع و الملابسات ولو عارضته من أول الطريق ، و بداية الخط .

بين إسلام « مضمون » عقد عليه فى شركات التأمين ، فلا تفسده خيانة ، ولا يفسده نفاق ، ولا يضره استهتار ، ولا ينال منه إسراف ، و لا تكدر بحره الزاخر بحور ثقافية ، و خلاعة أدبية و فضيحة فنية ، و عرى علنى ، و كفر منطق ، و إنكار قومى ، و شذوذ سياسى ، لأنه اسلام مضمون مسجل ، وعد بسلامته و متانته و جودته « كبار تلاميذ الغرب و وكلائه الموزعين فى الشرق » .

إنه إسلام يسمى فيه المولود مسلماً بحكم القانون و الوراثة ، و يبقى مسلماً ليتمتع به بما شاء من منافع مادية و أدبية ، ولا يحتاج إلى تجديد فى إيمانه لأنه ولد من أبوين مسلمين و كفى .

إنه إسلام جامد ، واقف ، لا ينقص و لا يزيد ، و لا يتحرك ؛ و رحم الله البخارى فقد عقد باباً تحت هذا العنوان « الايمان يزيد و ينقص » و هو لا يعلم أن فى بلده و فى البلاد الاسلامية العريقة قوماً لا تضرهم إشتراكية ماركس الملحدة ، و كفر لينين البواح ، ولا ينقص إيمانهم بشئ من هذه الأشياء

إنه إسلام سابى ، لا يتدخل فى شئون المجتمع و الحياة ، بل يترك الحبل على غاربه ، ويدع جيله تحت رحمة الموجبات المادية الطاغية والأفكار السامة ، و الأدب المائع ، فيترك المجتمع فريسة سهلة و لقمة سائغة أمام ذئاب الانسانية و وحوش الحضارة ، و قراصنة السياسة ، ولصوص الدين و الأدب ، و يظن أنه سينجو بنفسه و يقول كما قال ولد سيدنا نوح عليه السلام « قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء » ثم لا يلبث أن يجرفه التيار المارد العنيف ، و تسوقه هذه «السلبية البريئة» إلى كل ما عافه قديماً واستنكفه ، و مقته ، و مجه « وحال بينهما الموج ، فكان من المغرقين » .

إن هذا الاسلام يعيش جنباً إلى جنب مع كل كاتب يبيع الهوى و ينشر المنكر ، و يروج بضاعة الفحشاء ، مع كل أديب يحسن الكتابة ، و يجيد الوصف و لو تطاول على ذات الله عز وجل ، و مقام الرسول ﷺ ، و يستمع بكل أناة وصبر وشرح صدر إلى كل حوار لبق وكلام شيق ، و حديث حلو ، و لو كان حالقاً للدين ، ماحقاً للايمان ، هادماً للاخلاق ، و ينظر إلى كل صورة على الشاشة و لو ذهبت بالحزم والحلم ، و اللب و العقل ، و أطار الرشد والصواب .

هذا الاسلام يمشى مع سائر التقلبات والموضات الفكرية والمذاهب

الاجتماعية و السياسية ، و الحركات التقدمية الثورية ، فى الهند الصينية أو أمريكا اللاتينية ، و مع كل فريق من المغنيين و المصورين و الهاتمين والحالمين ، والشذاذ الأفاقين ، لأن «تمشى» هذه «الكلمة السحرية» تضع فى يد هؤلاء القوم «ورقة مرور» يتعدون بها كل حد ، و يحطمون بها كل سياج ، ويهيمون بها فى كل واد و ناد .

إنه إسلام «المسلمين» لا المسلمين ، فى تعبير أصح وأفصح ، لأنه يسالم جمع الألوان والأنواع الحضارية الموجودة فى العالم المعاصر ، ويتبع كل سبيل غير سبيل الرشد .

إن هـذا الاسلام لا ينقص بالتهاون فى حقوق الله ، و الاستهانة بشعائر الدين » ، فاذا وقع عنده صدام بين عبادات و أعمال سياسية و اجتماعية طغت الأعمال السياسية على العبادات و الصلوات ، و لذة التقريب و المناجاة ، و إذا حدث له شئ أو شغله أمر من تحرير فى صحيفة أو خطاب فى حفل أو قيادة لموكب أو رفع لاحتجاج أو قضية فى برلمان أو حديث فى مأدبة ومسامرة فى عشاء أو نزهة فى حديقة ، و حتى فنجان شاى بين الأصدقاء نسى ما عليه من حق الله ، و هو فى الأشغال و النشاطات ، و فى المشكلات و الأزمات أولى بالطاعات و أحق بالدعاء و التضرع و المناجاة ، و أحوج إلى العبادة و العبودية دون الأوضاع الهادئة و الظروف العادية ، فلا اعتبار بطاعة لم تصطدم بما يهواه الطبع و عبادة لم تشق على النفس ، ولا قيمة لكأس لم تطفح ، و عين لم تفض .

إنها درجات فى إسلام و لكنه على كل حال إسلام المسلمين ، أما

إسلام المسلمين فهو لا يقبل «على ما يرام» و لا يؤمن بمبدأ «الدين للديان و الوطن للجميع» و لا يجمع بين الخطب الدينيـة فى المحافل ، و الترفيه بالبرامج العارية الراقصة ، الفاسدة المفسدة بعد صلاة العشاء بين أولاده و أفلاذ أكباده .

إنه لا يؤمن بالجمع بين حضارة الغرب و عقيدة الاسلام ؛ والزى الاسلامى و الحياة الأوربية ، و الجمع بين لغة الحديث و القرآن و أفكار لينين و سارتر و ماوتسى تونغ .

إنه لا يؤمن بالجمع بين عبد الباسط و أم كلثوم ، والجمع بين المصاحف المرتلة و الموسوعات الفقهية ، و أغانى صباح ، و فيروز وشادية ، أو الجمع بين «المجتمع» و «البلاغ» و «البعث الاسلامى» و بين روز اليوسف و الموعد و الطليعة .

إنهـا صور جزئية ، و صور بسيطة ، و أمور ليست بذات أهمية عند البعض ، و لكنها تصور ذلك الاسلام الذى أشرنا إليه كل التصوير، إسلام من «ماركة ممتاز» لا يؤثر فيه شئ ، ولا يعتريه البلى والوهن ، و لا ينقص بنقصان شرع و دين و مسالمة واستسلام أو انسياق تام مع تيارات المادة و المعدة ، و اتجاهات الغرب و الشرق و اليمين واليسار .

نحن مع الاسلام فى كل مكان ، ما فى ذلك من شك ، و لكن مع الاسلام المستقل الأصيل ، لا الاسلام التابع ، الفرعى ، المتطفل ،

نحن مع الاسلام القائد ، السائد ، المعلم ، الموجه ، لا الاسلام الذى يتلقى الأوامر و التعليمات من «الباب العالى» فى موسكو ، و «البيت الأبيض» فى واشنطن .

مع إسلام لا ينكر العلم و السياسة ، بل إن العلم و السياسة فيه عبادة ، و لا يهمل الطاعة و العبادة فهى مفزع المؤمن و مأمنه ، وحصنه و معقله ، و أكبر همه و غاية مناه .

مع إسلام مناضل مكافح متصل الحلقات بجميع أجزائه ، وثيق العرى بجميع حركاته وتنظيماته ، عميق الحب بجميع أبنائه، كثير الاعتراف بالفضل عظيم التقدير لذوى الكفاية و الاخلاص ، كثير الشكر على المساهمة و التعاون .

هذا الاسلام العميق الواسع ، المشرف النير ، الكامل الشامل ، الأصيل المستقل ، المكافح المناضل .

الاسلام الذى يتكلم و لو كره الصليبيون الجدد ، الحمر و البيض و الصفر ، و يرفع صوته لتنظيم المجتمع و الحكم ؛ و الأسرة و العائلة ، على أسس نقية واضحة من السيرة الطاهرة ، و الشريعة الخالدة و الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

هذا الاسلام هو العنصر الأقوى فى معركتنا الكبرى ، وردنا الحاسم على هواة الفساد ، و دعاة الانحلال ، و المتآمرين على سلامة البلاد ، و نعمة الأمن و الهناء ، باسم الحرية و العلم و التقدمية ، و الاشتراكية و الثورية .

نعم ، نحن مع الاسلام و لكن ؟ ؟

محمد الحسنى

التوجيه الإسلامي

الأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى

هذه هى المعركة !

نحن فى معركة عقلية ثقافية مبدئية ، صراع بين عقيدة و عقيدة ، و حضارة و حضارة ، و دعوة و دعوة .

أما العقيدة فقد تطور مفهومها و توسعت دائرتها ، كما تطور مفهوم حقائق كثيرة و توسعت أو ضاقت دوائرها فى هـذا العصر ، فالعقيدة الأساسية التى تركز فيها الصراع فى هذا الوقت و انحصرت فيها المعركة ، و شملت الحياة كلها ، و المجتمع كله ، هى ، هل لابد من تأسيس الحياة — بما فيها من الأفكار والاتجاهات والتصرفات والكفاح — على حقائق جاء بها الرسل فى عصورهم و دعوا إليها فى أممهم ، و جاء بها الرسول الأعظم ﷺ للابد و للجميع ، أم نؤسس حياتنا — بأوسع معانيها — على مشاهداتنا و تجاربنا ، و ميولنا و رغباتنا ، و هل وراء الحس غيب هو أوسع منه ، و بعد هذا العالم عالم لا آخر له ، أم « إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما نحن بمبعوثين » ؟ .

و أما الحضارة فهنالك حضارتان متنافستان لا أعرف لهما ثالثة ، حضارة أسسها إبراهيم مؤسس العهد الجديد و أبو الجيل المؤمن الجديد ، و جددها و كملها حفيده و وارث دعوته محمد بن عبد الله العربى القرشى

خاتم الرسل و إمام الكل و منير السبل ، حضارة تتسم بسمات و شعائر كثيرة ، أبرزها أربعة :

أولا : أنها طعمت باسم الله والايمان به وغمست فى هذه الصبغة غمساً لا تفارقها هذه الصبغة ولا يغلب عليها لون آخر ، و إذا استعرضت حياة المسلم — الذى انفرد بتمثيل هذه الحضارة لأسباب تاريخية ، و فعل عوامل كثيرة ليس هذا موضع شرحها — وجدت هذا الاسم الكريم و استحضار مسماه و اللهج بذكره لا يفارقه من المهد إلى اللحد ، من الأذان فى أذنى المولود إلى الصلاة عليه ميتاً ، إلى أن يوضع فى لحده .

والشعار الثانى : هو التوحيد النقى الخالص الذى قرره الرسل جميعاً ، و حمل لواءه إبراهيم و هاجر فى سبيله ، و دعا إليه محمد ﷺ الناس جميعاً و جاهد فى سبيله .

و الشعار الثالث : هو الايمان بشرف الانسان و كرامة بنى آدم و المساواة بين أعضاء الأسرة الانسانية بصرف النظر عن ألوانهم و أوطانهم و أجناسهم و طبقاتهم ، فكلهم من آدم و آدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى و لا لعجمى على عربى إلا بالتقوى .

الشعار الرابع : الكفاح فى سبيل الدعوة إلى الله و إسعاد البشرية عامة ؛ و محاربة الأوثان بجميع أنواعها ، و باختلاف أسمائها ، الكفاح لاعلاء كلمة الله و إجراء حكم الله على خلق الله ، وقد أكرم الله المنتمين إلى هذه الدوحة الابراهيمية التى بعث فيها محمد ﷺ بهذا الكفاح المقدس المجيد الفريد ، وخصهم به حتى أصبح لهم شعاراً وفيهم وراثة ، يتوارثونها كابراً عن كابر ، و جيلا بعد جيل .

و تقابل هذه الحضارة حضارة مؤسسة على الغفلة عن الله و البعد عنه ، و على الاشراك به ، و على التمييز بين لون و لون ، و جنس وجنس ، وسلالة وسلالة ، و وطن و وطن ، التفريق بين السود والبيض و السادة و العبيد ، و الأغنياء و الفقراء ، و بين شعوب و شعوب ، وبلاد و بلاد ، يخطون بين البشرية خطوطاً عريضة و دقيقة ، جامدة و رقيقة ، منها البحار و منها الأنهار ، و منها الجبال و منها الحدود المصطنعة ، و منها الكلمات المصطلحة ، كلها من صنع الانسان ، و دعاوى فارغة ما أنزل الله بها من سلطان .

و أما الدعوة ، فهل تستحق هذه العقيدة الأبدية المتميزة ، و هذه الحضارة المشرقة المنصفة ، أن تكون غاية نجند لها قوانا و مواهبنا ، ونحشر لها وسائلنا و ذخائرنا ، و نجعلها موضوع تفكيرنا و أدبنا و جهادنا ، و أن نميز بينها و بين ما نضطر إليه من دعوة و تنظيم ، وكفاح ونضال ، و أهداف مؤقتة محلية ، أم نعتقد أن الأولى قد مضى أوانها ، و انتهت رسالتها ، فلابد من دعوة جديدة ، دعوة قائمة على قومية أو وطنية ، أو نظام اقتصادى أو معسكر سياسى ، نزج لها كل ما عندنا من مواهب و طاقات ، نعظمها كأنه ، و ندعو إليها كدين ، ونجاهد فى سبيلها كعقيدة و نستهين بما عداها من عقائد دينية ، و قيم خلقية ، و ذخائر معنوية ، و نعتبرها هى الجامعة ، و نستخف بالجامعة التى ترط الانسان بالانسان ، و تجمع بين الشرقى و الغربى و العجمى و العربى ، و الأبيض والأسود ، و الغنى و الفقير ، و تمتد من أقصى الأرض إلى أقصاها ومن أدنى البشرية إلى أعلاها ، الجامعة التى لا سبيل بعدها إلى الحروب و لا سبيل بعدها

ولا سبيل بعدهـا إلى الاستعمار و الجنسية و العنصرية والعصبية الجاهلية ، و جميع النزعات الممزقة و المذاهب الهدامة .

هذه هى المعركة ، و المسلمون فيها جنود .

هذه هى المعركة ، والمجلات و الصحف تستطيع أن تمثل فيها دوراً لا يمثله أحد ، فهى التى تحمل الفكرة ، و هى التى تنشر الفكرة و تزرعها فى عقول و نفوس لا يحصيها إلا الله ، ثم تتعهدها حيناً بعد حين ، و تغذيها و تسقيها و تراقبها .

و هى التى تحمل الرسالة من ناحية فى العالم إلى ناحية بعيدة منه ، و من رأس إلى رؤوس كثيرة ، و يسمع صرير أقلامهـا و دبيب أفكارها ، فى قرارة النفوس و سويداء القلوب ، و أعماق العقول .

وهى التى تمشى بين أعضاء أسرة آمنت بفكرة ، والتقت على عقيدة ، فتحمل تحيـة بعضها إلى بعض و رسالة بعضها إلى بعض ، فتكون رسول حب و سلام و وسيلة إلى التعارف و صلة الأرحام .

و هى التى تقيم العوج من الأفكار ، و تصلح الفاسد من الآراء ، و تعلم الجاهل و تقوى ملكة الكاتب الناهض ، و تعرض أمثلة من الفكر السديد و الأدب الرفيع و الاطلاع الدقيق ، والملاحظات الصائبة ، فهى مدرسة ينشأ فيها تلاميذ ويتخرج فيها فضلاء هم أبناء اليوم وأساتذة الغد .

موقف الحضارة المعاصرة من الهداية السماوية

الأستاذ أبو الاعلى المودودى
(معرب)

كل تقدم مادى فى هذا العصر يرجع الفضل فيه إلى العلوم الطبيعية ، (Physical Scienes) فان الدراسات التى أجريت فى هذه العلوم منحت الانسان طاقات هائلة ، تمكن بها من إبداعات مدهشة ، تقـدم المجتمع الانسانى فى جميع مجالات الحياة المادية ، و لكن يجب أن نعرف جيداً أن الله سبحانه هيأ للانسان وسائل التحقيق و الدراسة لهذه العلوم الطبعية ، و أودع فيه مؤهلات يستطيع بها أن يدرس ما حوله من الكائنات و يكتشف خواصها و قوانينها التى تعمل فيهـا بالتجارب و المشاهدات ، و يستطيع أن يبذل جهوده فى استخدامها لتقدمه المـادى بأحسن طريق و أكمل وجه ، و هو فى ذلك لا يحتاج إلى تعليمات سماوية لأنه خليفة الله فى الأرض ، و له حق التصرف فى هذه الدنيا المادية ، و هو يملك طاقات يستخدمها فى إحراز منافعه و مصالحه من الكائنات الأرضية .

أما الحضارة و المدنية ، أما الأخلاق ، أما النظام الاجتماعى و الفردى للحياة الانسانية ، فلا ينبغى أن يعتقد الانســان فى كل ذلك أنه يستطيع أن يستنبط منها مبادئ الحياة الصحيحة حسب ما يتبين له ، و الحقيقة أن هذا الخطأ فى التفكير ، هو الذى مهد السبيل لجميع تلك المفاسد و الأدواء التى تسربت إلى الحضارة الانسانية ، بل الحق أن الانسان فى هذا المجال

مفتقر إلى الهداية السماوية (Divin Cuidance)حتى إذا استغنى عن الهداية السماوية ، و بدأ يضع المبادئ و الأصول بنفسه لنفسه ، ظناً منه أنه لا يحتاج فى هذه المرحلة أيضاً إلى هداية من السماء ، تواجهه مشكلات تلو مشكلات ، و لا يقدر على بناء نظام صحيح للحيـاة معتمداً على مجرد عقله و تجاربه و مشاهداته ، و ليس هذا أمراً جديداً وقع فيه الانسـان اليوم بل هو قديم كقدمه ، و لم تعد عاقبته الوخيمة خافية على الناس .

ثم هناك خطأ ارتكبه الانسان ولا يزال ، وهو أنه يريد أن يقتصر بما وجده من هداية سماوية فى محيطه المحدود بدون أن يتجاوزه ويعلم هل هناك هداية أخرى من الله أم لا ؟ إنه يقتنع بما رأه أو ورثة من أسلافه و من مجتمعه من هداية دينية ، و لكنه حينما يستشعر أن تلك الهداية لا تشمل جميع جوانب حياته ، و لا تساعده فى وضع نظام شامل صالح للعمل فى مختلف جوانب الحياة يستطيع به أن يوجه حياته فى اتجاه صحيح و يصبغها بالصبغة الحقيقية ، يأس من الهداية السماوية بتاتاً ، و لا يرى من الضرورى أن يخرج عن محيطه ليرى هل هناك هداية إلهية أحسن شكلا و أجمع لجميع نواحى الحياة ، و أشمل لجوانبها أم لا ؟ بل و يراها شيئاً غريباً إذا وجدت فى موضع آخر ، و يحاول أن ينتقصها و يحط من شأنها ، و يبحث عن كل ما يبرر موقفه من إنكارها ، و الحقيقة أنه بهذا الصنيع لا يضر إلا نفسه .

و ينبغى لكل ناشد حق أن يكون واسع الصدر متفتح البصيرة فى البحث عن الحق ، يجب عليه أن يفكر فيما إذا لم يكن عنده الضوء كاملا فاين يوجد ذلك الضوء ؟ و هل هو موجود أم لا ؟ فاذا كان موجوداً

اطلع عليه هو بنفسه أو عرضه عليه أحد آخر ينبغى له أن يمتحنه ويفحص عنه من غير تعصب أو تعسف ، إنه لابد من التحقيق فيه قبل أن يصل عنه إلى نتيجة ، أو رأى حاسم ، كما يجب عليه أن يتسائل نفسه عما إذا كان فيه ما يرشده إلى مفهوم الأخلاق الصحيح أو يقدم له حلولا حاسمة لمشكلات حضارتنا الأساسية ، تسعفه فى توجيه السعادة إلى الحياة .

وأنا بدورى أعتقد أن المفكرين المعاصرين إذا نجوا من هذه الورطة أفسحوا المجال لكل إنسان يريد أن يقتبس من ذاك النور الذى أرسله الله إلى عباده فى أى مكان، نحن مستعدون تماماً للاستفادة من هداية ربانية يحتضنها الغرب كلما تم لنا الاقتناع بأنها من الله ، وكذلك يجب على أهل الغرب أن يتبينوا تلك الدعوة التى نعرضها عليهم كهداية من السماء ، ويدرسوها دراسة تامة لينظروا هل يجدون فيها ما يصلح نظام حياتهم .

وكمثال أقول لكم : إن التميز العنصرى والتفرقة الجنسية يتفاقم الآن فى أمريكا ، وأفريقيا الجنوبية ، وروديشيا وأمثالها من البلدان ، ويكاد يشمل بريطانيا ، إن ذلك وصمة عار على جبين الانسانية ؛ ولكن دنيا الغرب على دعاوى العقلية و المنطقية (Rationalism) أخفقت فى إزالة هذا العار من جبينها ، أما إذا رأينا وجهة نظر الاسلام فى هذه القضية وجدنا أنها قدمت أنجع حل لهذه المشكلة التى عجز عنها كل نظام اجتماعى غير الاسلام ، فلماذا لا نفكر فى تعاليم الاسلام — من غير تعصب أو تجمد — التى لم تسمح المجتمع الاسلامى طول فترة التاريخ أن يشكل مشكلة من مشكلات اللون والعنصر والجنس ، تلك التى يواجهها الغرب اليوم .

وكذلك نظام الأسر فقد اضطرب حبله اليوم فى الحضارة المعاصرة و لم تعد للعلاقات بين الزوج و الزوجة و الأولاد و الوالدين ، و أعضاء الأسرة الآخرين أى قيمة ، فالبيوت العامرة تتهدم . و جريمة المراهقة تستشرى بشكل فظيع ، و أولاد البيوت المقفرة يشكلون مشكلة نفسية للمجتمع كله ، وعدد أولاد الزنا فى تزايد مستمر ، كما أن كثرة الطلاق وانفصام العلاقات الزوجية مزقت المجتمع الانسانى شر ممزق ، فعلى كل منصف أن يفكر فى هذه المشكلات التى لم تتولد فى المجتمع الاسلامى بهذا الشكل الفظيع أبداً ، إذن ما الذى يحول دون أن ندرس تلك القوانين و التعاليم التى صانت المجتمع الاسلامى حتى فى عصر انحطاطه من هذه اللعنات و الأولاد .

إن علماء الغرب فضلا عن أن يجدوا فى هذه الظاهرة درساً للمجتمع الذى يعيشون فيه يتناولون قوانين النكاح و الطلاق و نظام المجتمع الاسلامى كله بالنقد اللاذع ، و يبذلون كل جهودهم فى إصابة مجتمعنا و أعضائه بالأدواء التى يعانون منها ، و التى تدمر كيانهم ، مع أنهم كان يجب عليهم أن يدرسوا قوانين الاسلام و تعاليمه لكى يتوصلوا إلى تلك الحقيقة التى تمنع نظام الأسر فى المجتمع الاسلامى عن الانهيار والانحلال، و التى تحول دون تكاثر أولاد الزنا، والطلاق و جرائم المراهقة و جريمة القسوة للوالدين العجوزين ، وتغافل الوالدين عن الأولاد إلى حد أصبحت الكلاب أحب إليهم من الأولاد ، فان كان علماء الغرب هؤلاء بمعزل عن التعصب الأعمى ، و كانت أفكارهم نقية من أدرانه لوجدوا فى خارج محيطهم المحدود ما يتعظون به و يستفيدون منه .

و بهذه المناسبة أقدم مثالا آخر : إن العالم المعاصر يواجه معارك متتالية ، و قد شهد حربين عالميتين فظيعتين و تهدده الآن حرب ثالثة ، و لا تزال على الأبواب ؛ و يبدو أن الأرض كلها تحولت إلى ألغام من البارود ، و تكفى شرارة واحدة لتفجر العالم كله ، فاذا تعمقنا قليلا بدا لنا أن فى أساس نظامنا المعاصر مواضع ضعف جعلت الأرض كلها كالبركان ، و أحد هذه المواضع القومية المتطرفة ؛ التى أشعلت ناراً العداء و التفرقة بين الأمم و الشعوب ، و ثانيها ذلك التعسف و التضايق اللذان يجعلان الأمم المنتصرة الغالبة تعامل الأمة المغلوبة معاملة الظلم والارهاق؛ و إبادتها مادياً و اقتصادياً ، و تمزيق بلادها و رقعتها التى تعيش فيها ، و ذلك ما يثير دافع الانتقام فى الأمة المغلوبة ، فما تنتهى حرب إلا وتتلوها حرب أخرى .

يجب أن يتفطن أهل الغرب إلى هذه الحقيقة ، و يروا هل هناك مجتمع آخر يقوم على أساس هداية حالت دون نشوب مثل هذه الحروب و لا شك أن الحرب وجدت سبيلا بين طوائف المسلمين حينما حادوا عن طريق الاتباع الكامل لتعاليم دينهم ، وقد تعاركوا مراراً مع غير المسلمين و فتحوا بلاداً كثيرة أيضاً ، و لكن المنصف المحايد إذا تعمق فى تاريخهم بدا له أن المسلمين لم يصابوا بجنون القومية العمياء الذى أصيب به الغرب، و أن المسلمين لم يعاملوا المغلوبين مثل ما عامل أهل الغرب مع من استعمرهم ، و ما تاريخ استيلاء المسلمين على الأندلس ثم انتصار النصارى على المسلمين ببعيد ، و قد سجل لنا التاريخ نتائج الفتحين كليهما ، و كذلك فلسطين و القدس قد استولى عليهما غير المسلمين فى يوم من الأيام ثم استردهما

المسلمون ، و من الذى لا يدرى الفرق الهائل بين هاتين الغلبتين ؟ ! و لكن ما هو سبب هذا الفرق الكبير بين هذا و ذاك .

و لا أعتقد أن هناك سبباً لهذا الفرق غير الاسلام ، الذى أودع فى أتباعه من رحابة الصدر و دافع السخاء و مقت التفرقة العنصرية والقومية ما جعلهم لا يعاملون مع المغلوبين معاملة القسوة و الجفاء كغيرهم، و لا ينشأ فيهم جنون القومية الذى يبغض إليهم كل أمة سوى أمتهم ، فلينظر الناس فى تعاليم الاسلام التى استحق المسلمون بفضلها هذه النعمة ، و يستفيدوا من هذه التعاليم ما دامت تحمل فيها الخير و النور للانسانية جمعاء ، و أى عداوة أكبر للانسان مع نفسه أن يرفض دواء مرضه لمجرد أن هذا الدواء لم يصنع فى معمل أمته التى ينتمى إليها .

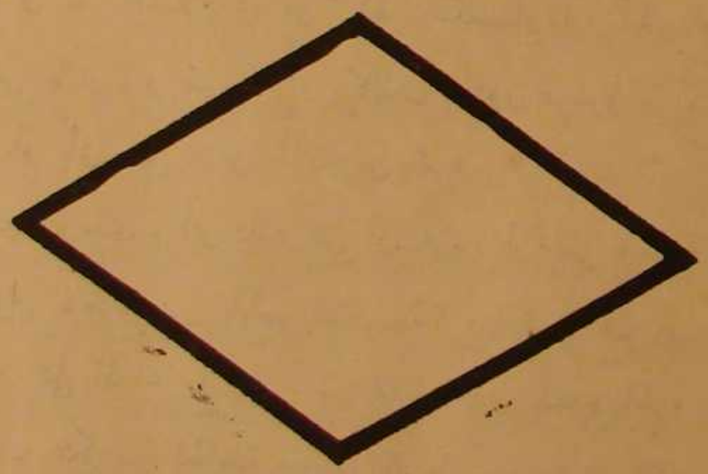

الفكرة القومية فى ميزان الاسلام

فضيلة الشيخ يوسف القرضاوى
مدير المعهد الدينى الثانوى ـ الدوحة ـ قطر

-٣-

خامساً : إن الفكرة القومية فكرة جاهلية رجعية ، تنكر الدين ، وينكرها الدين ، كل دين فضلا عن الاسلام .

أما أنها جاهلية ، فلانها تقوم على إحياء العصبية التى كانت من أخص سمات العصر الجاهلى ، و التى برئ الاسلام و رسوله منها كل البراءة إذ قال « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » .

و من إحياء العصبية الجاهلية الاعتزاز بالآباء ، و التفاخر بالأجداد و إن كانوا فى نظر الاسلام — من أكفر الكفار ، و أفجر الفجار ، و أولى الناس بالنار ، و بئس القرار ، كالذين يعتزون بفرعون — كرمسيس و غيره — أو بأبى جهل و من شاكله من العرب .

روى الترمذى و أبو داؤد عن أبى هريرة أن النبى (ص) قال : « لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا ، إنما هم فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله عز و جل ، من الجعل الذى يدهده الخرء بأنفه ، إن الله أذهب عنكم سبة الجاهلية — أى كبرها — و فخرها بالآباء ، إنما هو مؤمن تقى أو فاجر شقى ، الناس بنو آدم ، و آدم خلق من تراب » .

« الجعل » دويبة أرضية ، تدهده الخرء بأنفها . . أى تدحرجه ،

و هى مثل فى الهوان و الحقارة ، و أهون منا عند الله الذين يفخرون بالكفرة من أجدادهم ، و ما هم إلا فحم جهنم و وقود النار .

و لقد حدثنى بعض الثقات أن أحد القوميين الغلاة ، سمى ابنه « لهبا » ليناديه الناس بكنية « أبى لهب » فيحيى بذلك ذكر زعيم عربى من زعماء الجاهلية « و تبت يدا أبى لهب و تب » .

و قد نسمع غدا من يسمى ابنه « جهلا » ليكنى « أبا جهل » و الجنون فنون .

و أما أنها رجعية فلانها ليست إلا امتداداً للشعور القبلى ، وإذعانا لعصبية العشيرة ، و التنادى بنصرتها ظالمة أو مظلومة ، و هذه رجعة بالانسان إلى الوراء البعيد ، حيث كانت ارتباطات العشيرة وحدها ، هى التى توجه الفرد و تسيره وفقاً لنزعاتها وتقاليدها ، ثم انتقل ولاء الانسان من العشيرة إلى الأمة ، نقلته الأديان السماوية إلى أفق أعلى و أرحب هو أفق العالمية الانسانية .

يقول أمرى ريفر فى كتابه « قضية السلام » تحت عنوان « تشويه الدين » .

« بلغت عبادة الدولة القومية ذروتها فى البلاد الفاشية »

« ولكن تشويه الدين و تسخيره للغايات القومية لوحظا فى كل أمة »

« إن العنصر المقدس و المهذب فى المسيحية هو أنها عالمية — و إن مبدأها أن الناس خلقوا متساوين أمام الله ، و هم يعنون لاله واحد ، قانونه واحد ، يسرى على الناس جميعاً ، و لقد كانت هذه فكرة ثورية فى التاريخ البشرى ، و لكن ظهور الدولة القومية منع هذه الفكرة أن

يكون لها أثر مهذب »

« فى اللحظة التى بدأت فيها الأمم الحديثة تتبلور ، بدأ الشعور القومى فى العالم الغربى يتغلب على الشعور المسيحى ، و كانت الكنيسة منقسمة ، فازدادت انقساماً إلى مذاهب أخرى ، يويد كل منها المثل الأعلى الناشئ للامة .

« و صار من المعترف به فى كل بلد أن السياسة القومية سياسة مسيحية ، و تحولت الكنائس المسيحية إلى هيئات قومية ، توييد الغرائز القبلية للروح القومية .

« فى آلاف من الكنائس يسأل الله القسيس الكاثوليك ، والوعاظ البروتستانت ، المجد لمواطنيهم ، و الويل لغيرهم ، وإن كان هذا يتناقض مناقضة شديدة مع أسمى المثل العليا الدينية التى أوتيها الانسان .

إن المبدأ الأخلاقى الكونى لا يكون كونياً ولا أخلاقياً ، إذا كان لا يصح إلا داخل جماعات منفصلة من الناس .

« و « لا تقتل » لا يمكن أن يكون معناها أن من الاجرام أن تقتل رجلا من مواطنيك و لكن من الفضيلة أن تقتل رجلا يعد مواطناً فى دولة أخرى »

« و مثل هذا التطور يلاحظ فى جميع أديان التوحيد الثلاثة ، فالوحدة التى احتفظ بها القرآن قروناً بين الشعوب الاسلامية المختلفة الأصول ، قد ذهبت و صار الشعب الاسلامى قوميات شتى »

« فدعاة الجامعة التركية يرمون إلى توحيد فروع معينة من الجنس التركى ، و دعاة الجامعة العربية يشيرون باتحاد الشعوب العربية »

« و يقول المسلمون فى الهند (١) « إننا هنود أولا و مسلمون بعد ذلك » و قد نسى الجميع الصبغة العالمية التى كانت أساس دين الاسلام العظيم » .

« و الأمر لا يقتصر على المسيحية والاسلام ، فان أقدم الموحدين ، و هم اليهود ، قد نسوا التعاليم الأساسية ، و هى أنه عالمى . . .

فهم يبغون أن يعبدوا بعواطف مشبوبة إلههم القومى الخاص ، وأن تكون لهم دولتهم القومية »

« و ما من اضطهاد أو عذاب مهما بلغ من أمره ، يمكن أن يسوغ نبذ هذه الرسالة العالمية من أجل القومية — و هى اسم آخر للقبيلة التى هى أصل مصائبهم جميعاً »

« و إنه لعلى أعظم جانب من الخطر لمستقبل الانسانية ، أن تدرك مبلغ التشويه الذى أصاب عقيدة التوحيد العالمية »

« فما كان من الممكن قط — بدون تأثيرها — أن تقوم الحرية الانسانية فى الجماعة الديمقراطية ولا أن تبقى ، و ما من سبيل إلى انقاذ الجماعة الاسلامية إلا بالعالمية »

فاذا لم تعد الكنائس المسيحية إلى مبدئها المركزى ، و تجعله مبدأها المركزى فيما تعمل فانها ستزول أمام عقيدة جديدة عالمية ، لابد أن تبرز من بين الخراب و الآلام ، التى يسببها تهافت القومية الآتى لا محالة » .

سادساً : إن دعاة القومية لا يكتفون بعزل الدين عن الحياة ، بل

---

(١) يعنى دعاة القومية الهندية منهم .

يقفون موقف العداوة للتيار الاسلامى ، و المعارضة لكل حركة إسلامية قوية ، تعمل على استعاده نظام الاسلام و تنادى بالعودة إلى تعاليمه و الاعتصام بحبله ، و التكتل تحت لوائه ، و هذه العداوة من القوميين الاسلام منطقية لأمرين :

الأول : إن هذه الخصومة و العداوة نتيجة طبيعية للمقدمات التى ذكرناها من قبل باعتبارها عناصر لازمة للقومية أو مرتبطة بها من اعتبار القومية عقيدة و ديانة و من إعلاء الرابطة القومية على الرابطة الدينية ، و احتقار الأخوة الاسلامية ، و المناداة بدولة علمانية لادينية و معارضة الوحدة الاسلامية ، و تمزيق الأمة الاسلامية إلى أمم و قوميات متعارضة الخ .

الثانى . إن هذه القوميات فى عالمنا الاسلامى إنما بذر بذرتها فيه ، و تعهدها و نماها هو التبشير و الاستعمار ، و قد اختار تلاميذه فى أول الأمر لخدمة هذه القضية من غير المسلمين ليهدم بهم الخلافة الاسلامية فى تركيا التى أذلت الغرب النصرانى يوما ما ، و طرقت أبواب «فينا» سنة ١٦٨٣ م ، ثم ليهدم بهذه القوميات الجديدة أى أمل فى وحدة إسلامية مستقبلة فلا عجب إن رأينا «انطون سعادة» مثلا يدعو إلى قومية سورية ، «وسلامة موسى» يدعو إلى قومية مصرية ، «وميشيل عفلق» و «جورج حبش» يدعو إلى قومية عربية ، و من تكليف الأشياء ضد طباعها أن نطالب هؤلاء الدعاة النصارى الاقحاح بالولاء للاسلام ، و رسالة الاسلام ، و أخوة الاسلام .

و لقد بدأ هذا الخطر بالقومية الطورانية ، التى تبناها حزب «الاتحاد

و الترقى » فى تركيا ، و انتهى أمرها بفصل العرب عن دولة الخلافة ، و قيام الحرب بين الأخوين المسلمين ، يقاتل أحدهما الآخر بقيادة الكفار و توجيههم ؛ و وحى المستعمرين الصليبيين و تدبيرهم ، و ما أمر الثورة العربية و دور « لورانس » فيها ببعيد .

و لقد آتت هذه العصبية القومية الطورانية ثمراتها ، فألغيت الخلافة و هدمت هذه القلعة الضخمة للاسلام و تمزقت الدولة الاسلامية الكبرى إلى دويلات و مزق وأشلاء تنتسب إلى أوطان و قوميات شتى ، لا تستطيع أن تخيف عدواً و لا أن تنصر صديقاً .

قال صاحبى : و لكن أليست هذه الأفكار قد نبتت فى ديار الاسلام نفسها ، و بوحى من تفكير أبنائها أنفسهم ، فلماذا تنسبها إلى الأجانب المستعمرين و نجعلها « بنت سفاح » لا بنت حلال ؟

قلت : إن هذه الأفكار قد جلبت بذورها إلى ديارنا جلباً ، و تولى أعداؤنا زرعها فى تربتنا بأيديهم ، و قام عليها تلاميذهم و أنصارهم و عبيد مدنيتهم ، فليس ما نقوله زعماً ندعيه ، بل هو ما يعترف به الأجانب أنفسهم و القوميون ذاتهم ، و ما يؤيده التاريخ و الواقع و المقارنة بين الأمس و اليوم .

يقول الأستاذ برنارد لويس رئيس قسم التاريخ فى كلية الدراسات الأفريقية و الشرقية بجامعة لندن :

« كانت الامبراطورية العثمانية آخر و أطول الامبراطوريات الاسلامية العالمية الكبيرة التى حكمت الشرق الأوسط ، منذ أيام الخلفاء الراشدين ، و فى هذه الامبراطورية كان ولاء المسلمين الأساسى للاسلام

و للدولة التى تجسد واقع الاسلام السياسى ، و للخلافة التى اكتسبت الصفة الشرعية بالمبايعة على مرور الزمن ، و التى كانت تسوس أمور الناس ، وكان المعارضون و المتمردون و الثائرون يسعون لتغيير الوزراء أو الحكام أو حتى الخلافة الحاكمة كلها ، و لكنهم لم يسعوا أبداً لتغيير أساس الولاء لدولة الاسلام و لوحدة هويته » (١)

و يتحدث عن العرب و موقفهم داخل الخلافة العثمانية فيقول :

« لقد كانوا على علم باختلاف لغتهم و ثقافتهم و ذكرياتهم التاريخية عن الترك ، و لكنهم لم يبدوا أى رغبة جدية بالانسلاخ عن الدولة العثمانية ، و لم يعترضوا على وجود سلطان تركى ، بل على العكس من ذلك كان من المحتمل أن يستغربوا وجود غيره على رأس الحكم العثمانى ، و لقد كانت فكرة قيام الدولة على أساس الأرض و الوطن القومى غريبة أجنبية بالنسبة لهم ، حتى إن كلمة (تركيا) ليس لها مثيل فى اللغة العربية و كذلك الأتراك لم يخترعوا كلمة (تركيا) إلا حديثاً ، و هى من أصل أوربى ، أما العرب فلم يخترعوا تعبيراً جديداً ، بل اكتفوا بالتعبير الذى يدل على جزيرة أو شبه جزيرة العرب » (٢) .

هذا ماكان عليه حال المسلمين اتراكا و عربا قبل أن يطل شيطان القومية برأسه ، فانظر كيف بدأ ابليس الخبيث يدخل إلى صفوف المسلمين؛ يقول المؤرخ المذكور :

« ولقد تسربت القومية العرقية من أواسط و شرق أوربا عبر « أقنية عدة » و لقد كان اللاجئون الهولنديون و الهجريون على الغالب ، أول

(١) من كتاب الغرب والشرق الأوسط ص ١٠٨ و ١٠٩
(٢) نفسه ص ١١٠ و ١١٠

الناقلين عندما ذهبوا إلى تركيا بعد فشل ثورتهم سنة (١٧٤٧) ، فلقد بقى قسم كبير منهم فيها و اعتنقوا الاسلام و احتلوا مناصب هامة فى الدولة العثمانية ، و كان أحدهم الكونت « قسطنطين بورزيسكى » وقد سمى نفسه بعد ذلك « مصطفى جلال الدين باشا » ! ! و لقد نشر سنة ١٨٦٩ كتاباً بالفرنسية فى استنبول اسمه (أتراك الأمس وأتراك اليوم) و فى الكتاب جزء كبير يشكل تقريراً للسلطان عن المشاكل الحاضرة فى الامبراطورية واقتراحات حلها ، و به جزء تاريخى يضم دراسة أجراها المستشرقون الأوربيون عن التاريخ القديم للشعب التركى و به يؤكدون دور الأتراك الايجابى الخلاق فى التاريخ ! !

و لقد حاول بورزيسكى جهده لاثبات أن الأتراك هم من العرق الأبيض مثل شعوب أوربا و ينتمون لما أسماه العرق (الطورانى - الآرى) .

« ولقد عمل الكونت بورزيسكى على نقل القومية البولونية ووضعها فى قالب تركى ، و ساعده على هذا العمل ما عرضه من أعمال المستشرقين الأوربيين الباحثين فى الشؤون التركية ، ولقد وصلت نتائج أبحاث هؤلاء إلى المجتمع التركى عن عدة طرق ، وكان لها تأثير هام على الذهنية التركية خصوصاً فى تقدير التاريخ التركى القديم و الاعتقاد بالهوية المميزة ، و المركز اللائق فى التاريخ . . و لقد كان الأتراك أكثر من العرب و العجم نسياناً لتاريخهم الماضى ، فلقد كانوا لا يفكرون بأية هوية أخرى غير الاسلام ، و لكن المستشرقين عن قصد أو عن غير قصد ساعدوا الأتراك على استعادة هويتهم القومية الضائعة ، و على الدعوة إلى حركة

تركية جديدة » (١)

و لم تكن هذه النزعة مقبولة لدى جماهير المسلمين أول ما ظهرت ، فقد أنكروها و هاجموها بقوة و صراحة .

« و عند ما ثارت القومية الألبانية سنة ١٩١٢ أثارت معها حملة من الاستنكار و قام بها الشاعر محمد عاكف المسلم الوطنى المعارض للقومية وكان هو من أصل ألبانى قال :

« إن ملتكم هى الاسلام فما هذه القومية القبلية ؟

هل العرب أفضل من الترك أو أن اللاظ أفضل من الشركس و الكرد ؟ .

أم أن الفرس أفضل من الصينيين ؟ بماذا يفضلونهم ؟

ماذا دهاكم هل تقسمون بلاد الاسلام إلى أجزاء متعددة ؟

إن الرسول الكريم نفسه سفه العصبية القبلية ، و ليس باستطاعة الأتراك العيش بدون العرب و من يقول غير هذا فهو مجنون ، و الترك بالنسبة للعرب عينهم اليمنى و ساعدهم الأيمن ، فلتكن ألبانيا لكم انذاراً ، ما هذه السياسة المنحطة و ما هو هذا الهدف الشرير ؟ .

اسمعوها منى ، أنا ألبانى . . لا أقول أكثر من هذا . . أسفى على بلادى المبتلاة (٢) .

و مثل محمد عاكف فى موقفه الشاعر الفيلسوف المسلم الهندى الدكتور محمد إقبال الذى تنبه فى وقت مبكر لدخول هذا السرطان فى دنيا المسلمين ، و نبههم على خطره و سوء أثره فهو يقول :

(١) من كتاب الغرب والشرق الأوسط ص ١٢٦ و ١٢٨

(٢) نفسه ص١٣٥ و ١٣٦

« لقد هاجمت فكرة القومية منذ الأيام التى لم تكن فيها القومية معروفة فى الهند أو فى العالم الاسلامى ، و منذ البداية شعرت بوضوح من خلال قراءاتى لكتابات المؤلفين الأوربيين بأن خطط أوربا الاستعمارية كانت تهدف إلى الدعوة للقومية لتفرقة صفوف الناس ، لأن ذلك سلاح فعال كانوا فى أشد الحاجة إليه ، و اقتضت هذه الحاجة الدعوة إلى مبدأ القومية حسبما جاءت به أوربا فى البلاد الاسلامية من أجل تحطيم الوحدة الدينية القائمة بين المسلمين » .

قال صاحبى : و لكننا بالدعوة إلى القومية العربية مثلا قد حللنا مشكلة كبيرة كانت أعقد من ذنب الضب ، تلك هى مشكلة العربى غير المسلم ، الذى يعيش معنا فى ديارنا و الذى يساكننا الأرض و يقاسمنا السراء و الضراء ، و يشاركنا الآلام و الآمال ، ففى أطار الوحدة القومية تذوب الفوارق الدينية و تنحل العقد الطائفية ، فلا مجال لقائل فى الوطن العربى مثلا أن يقول « انا مسلم أو نصرانى ، و إنما قول الجميع . . أنا عربى » .

قلت : إنما يكون ذلك حلا حقيقياً يوم يتخلى المسلم عن اسلامه ، والنصرانى عن نصرانيته ، ويحيا كل منهما بلا دين ، أما إذا ظل المسلم مسلماً فان دينه يحتم عليه أن يؤثر رابطة الاسلام على كل رابطة ، وعقيدته على كل عقيدة ويضحى فى سبيله بكل ما يتشبث به الناس ويحرصون عليه من علائق و صلات ، و حسبنا قوله تعالى « قل إن كان آباؤكم و أبناؤكم و إخوانكم و أزواجكم و عشيرتكم و أموال اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها و مساكن ترضونها أحب إليكم من الله و رسوله و جهاد فى سبيله ،

فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، و الله لا يهدى القوم الفاسقين » . وقوله ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده و ولده والناس أجمعين » و لهذا كان شعار العربى المسلم قديماً :

أبى الاسلام لا أب لى سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

و إذا ظل المسيحى مسيحياً فان دينه يأمره أن يجعل رابطته الدينية فوق كل علاقة ، ففى انجيل لوقا يقول المسيح « إن من يحب والده أو أمـــه أكثر منى لا يستحقنى و الذى يحب ابناً أو ابنة أكثر منى لا يستحقنى أيضاً » و عندما قيل للمسيح مرة :

« إن أمه و اخوته يقفون فى الخارج يريدون التحدث إليه قال : أمى ؟ من هى أمى ؟ و من هم اخوتى ؟ ثم أشار إلى تلاميذه و قال : أنتم أمى و أنتم اخوتى » .

و عندما جاء أحد تلامذته و أستاذنه فى الذهاب لدفن أبيه قال له : اتبعنى و أترك الموتى يدفنون موتاهم .

و إذن يكون القول بأن الدعوة القومية قد حلت مشكلة اختلاف الأديان فى الأمة الواحدة ، من السطحية الفارغة ، أو النفاق السيـاسى الذى يهتم بمحض الدعاية و الاعلان لا بعلاج القضية من الجذور .

(يتبع)

الدّعوة الإسلاميّة

أسس التربية السليمة

السنة دليل شرعى كالقرآن الكريم

الأستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله

السنة دليل شرعى كالقرآن الكريم ، و هى من وحى الله تعالى ، و الاقتصار على القرآن الكريم و ترك السنة كفر صراح ، و هو رأى الخارجين على الاسلام .

السنة وحى من الله تعالى :

أما أن السنة وحى من الله تعالى فهو صريح فى القرآن الكريم .

قال تعالى : « قل إنما أنذركم بالوحى » (سورة الأنبياء : ٤٥)

و قال : « إن يوحى إلى إلا أنا نذير مبين» (سورة ص ٧٠)

و قال : « إنما أتبع ما يوحى إلى من ربى » (سورة الأعراف . ٢٠٣)

و قال : « إن أتبع إلا ما يوحى إلى » (سورة يونس ١٥)

و قال : « و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » (سورة النجم : ٤)

فهذه الآيات قطعية الثبوت قطعية الدلالة فى حصر ما يأتى به الرسول ﷺ وما ينذر به ، و ما ينطق به صادر عن الوحى ، ولا تحتمل

أى تأويل ، و يروى ابن كثير فى تفسيره حديثاً عن رسول الله ﷺ : (« ألا إنى أوتيت القرآن و مثله معه » يعنى السنة) ، و أجمع الفقهاء على أن السنة أيضاً نزلت على رسول الله ﷺ بالوحى كما ينزل القرآن إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن الكريم .

الفرق بين وحى السنة و وحى القرآن :

فالسنة وحى من الله تعالى ، كالقرآن الكريم ، غير أن الوحى بالنسبة للسنة ، إنما هو مضامين السنة و معانيها و ليس ألفاظها ، أما القرآن الكريم فهو وحى من الله تعالى لفظاً و معنى .

فالله تعالى قد أوحى لرسوله ﷺ بالسنة ، والرسول ﷺ قد عبر عن هذا الوحى بلفظ من عنده أو بفعل منه ، أو بتقرير أى سكوت منه .

وجوب اتباع السنة كالقرآن الكريم :

وأما أن السنة واجبة الاتباع كالقرآن الكريم فهو صريح فى القرآن أيضاً .

قال تعالى : « و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا » (سورة الحشر . ٧)

و قال : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (سورة النساء ٨٠)

و قال : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » (سورة النور : ٦٣)

وقال : « و ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » (سورة الأحزاب : ٣٦)

و قال : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو

الله و اليوم الآخر » (الأحزاب : ٢١)

و قال : « فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليماً » (النساء : ٦٥)

و قال : « و إنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله »

(الشورى ٥٢)

وقال : « إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم»

(آل عمران . ٣١)

و قال تعالى : « فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله و الرسول »

(النساء : ٥٩)

و الرد إلى الله تعالى معناه الرجوع إلى القرآن الكريم ، و الرد إلى الرسول ﷺ بعد وفاته هو العمل بموجب سنته ، و قال تعالى : « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله و رسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا و أطعنا و أولئك هم المفلحون » (النور : ٥١)

فهذه النصوص القطعية الثبوت ، القطعية الدلالة صريحة ، فى وجوب الأخذ بالسنة ، كالأخذ بالكتاب ، و منكر السنة كافر قطعاً ، فيجب الأخذ بالسنة كالأخذ بالقرآن ، سواء بسواء غير أى فرقة بينهما ، و فى ذلك الصراحة الواضحة و الدليل القاطع فى وجوب اتباع الرسول ﷺ فيما يأتى به ، و فى اعتبار طاعته طاعة لله تعالى

فالقرآن و الحديث من حيث وجوب اتباع ما جاء فيهما دليلان شرعيان ، و الحديث كالقرآن فى هذا الموضوع ، و لهذا لا يجوز أن يقال عندنا كتاب الله نأخذ به ، لأن ذلك يفهم منه ترك السنة ، بل لابد من

أن نقرن السنة بالكتاب ، فيؤخذ الحديث دليلا شرعياً كما يؤخذ القرآن : ولا يجوز أن يصدر من المسلم ما يشعر بأن يكتفى بالقرآن دون الحديث .

أمر الرسول ﷺ باتباع سنته :

جاء فى كتاب رياض الصالحين للامام النووى عن أبى هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ « دعونى ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم ، و اختلافهم مع أنبيائهم ، فاذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه ، و إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » .

و جاء أيضاً عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى ، قيل : و من يأبى يا رسول الله ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ، و من عصانى فقد أبى » رواه البخارى .

تنبيه و تحذير :

و من هنا كان من الخطأ أن يقال نقيس القرآن بالحديث : و إن لم يطابقه تركناه ، لابد ذلك يؤدى إلى ترك الحديث ان جاء مخصصاً للقرآن ، أو مقيداً له ، أو مفصلا لمجمله ، إذ يظهر أن ما جاء به الحديث لا يطابق القرآن ، أو ليس موجوداً فى القرآن ، و ذلك كالأحاديث التى جاءت تلحق الفروع بالأصل ، فان ما جاء فيها بالحديث من أحكام لم يأت بالقرآن ، لا سيما و إن كثيراً من الأحكام المفصلة لم تأت بالقرآن ، و جاء بها الحديث وحده ، و لهذا لا يقاس الحديث على القرآن فيقبل ما جاء به و يرفض ما عداه .

و إذا لم يعارض الحديث القرآن بأن اشتمل على اشياء لم يأت بها القرآن أو زيادة عما فى القرآن فانه يؤخذ بالحديث و يؤخذ بالقرآن ،

و لا يقـال نكتفى بالقرآن و بما ورد فى القرآن ، لأن الله أمر بهما معاً و الاعتقاد واجب فيهما معاً .

السنة قاضية على الكتاب :

و السنة قاضية على الكتاب ، لأن الكتاب يكون محتملا للامرين فأكثر ، فتأتى السنة بتعيين أحدهما فيرجع إلى السنة و يترك مقتضى ظاهر الكتاب ، قال تعالى : « و أحل لكم ما وراء ذلك » بعد قوله : « حرمت عليكم أمهاتكم و بناتكم و أخواتكم و عماتكم و خالاتكم و بنات الأخ ، وبنات الأخت و أمهاتكم اللاتى أرضعنكم و أخواتكم من الرضاعة و أمهات نسائكم و ربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ، فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم ، و حلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ، وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف ، إن الله كان غفوراً رحيما ، و المحصنات من النساء إلا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم و أحل لكم ما وراء ذلك » (سورة النساء : ٢٣ ، ٢٤)

مما يدل على كل ما عدا ما ذكر ، فجاءت السنة فأخرجت من ذلك نكاح المرأة على عمتها أو خالتها بقول الرسول عليه السلام : « لا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها » فكان ذلك تركا لظاهر الكتاب و تقديم السنة عليه .

و قد يكون ظاهر الكتاب أمراً فتأتى السنة فتخرجه عن ظاهره ، فقد أتى القرآن الكريم بأخذ الزكاة من جميع الأموال ظاهراً ، فجاءت السنة فخصصته بأموال مخصوصة عينتها و حصرت أخذ الزكاة منها فقط ، فلا تؤخذ من غيرها .

السنة مبينة للقرآن الكريم :

و السنة بالنسبة للقرآن الكريم مبينة له ، قال تعالى : « و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » (سورة النحل : ٤٤)

و ذلك أن تعريف القرآن بالأحكام الشرعية أكثره كلى لا جزئى ، و حيث جاء جزئياً فمأخذه على الكلية ، و القرآن جامع ، و لا يكون جامعاً إلا و المجموع فيه أمور كليات ، لأن الشريعة تمت بتمام نزوله ، و السنة على كثرتها و كثرة مسائلها بيان للكتاب ، و جميع ما فى السنة له اصل فى الكتاب بينه على اجمال أو تفصيل أو على الوجهين معاً ، و جاءت السنة قاضية على ذلك كله بالتوضيح و الشرح .

و قد جاءت السنة بأحكام كثيرة لم ينص عليها فى القرآن الكريم لكن هذه الأحكام جاءت ملحقة بأصول لها مذكورة فى القرآن ؛ و هى من قبيل البيان لما فى القرآن ، فتكون السنة مبينة للكتاب .

ملخص بيان السنة للكتاب :

يتخلص بيان السنة للكتاب فيما يلى :

١- تفصيل مجمله .

و من ذلك أن الله تعالى أمر بالصلاة فى الكتاب من غير بيان لمواقيتها و أركانها و عدد ركعاتها فبينت السنة ذلك ، قال ﷺ : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » .

و ورد فى الكتاب وجوب الحج من غير بيان لمناسكه فبينت السنة ذلك : قال ﷺ : « خذوا عنى مناسككم »

و ورد فيه وجوب الزكاة من غير بيان لما تجب فيه ، و لا المقدار الواجب فيه ، فبينت السنة ذلك ، و هكذا . . .

٢ـ تخصيص عامه :

فقد وردت فى القرآن عمومات و جاءت السنة و خصصت هـذا العام ، و من أمثلة ذلك :

١ ـ إن الله تعالى أمر أن يرث الأبناء الآباء على نحو ما بين فى قوله تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » (النساء ١١)

فكان هذا الحكم عاما فى كل أب يورث و كل ولد وارث فخصصت السنة الأب المورث بغير الأنبياء بقوله ﷺ : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » .

و خصصت السنة الوارث بغير القاتل بقوله عليه السلام : « لا يرث القاتل » .

ب ـ و من ذلك قوله تعالى : « والذين يتوفون منكم و يذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر و عشراً » (البقرة : ٢٣٤) .

فان هذه الآيات دلت على عدة الوفاة ، فخصصت هذه الآية فى حديث سبيعة الأسلمية إذ ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر فأخبرها عليه السلام أن قد حلت ، فبين ذلك أن الآية مخصوصة فى غير الحامل .

٣ ـ تقييد مطلقه :

فقد وردت فى القرآن آيات مطلقة و جاءت السنة و قيدت هذا الاطلاق بقيد معين ، و من ذلك قوله تعالى : « و السارق و السارقة فاقطعوا أيديهما » (المائدة : ٣٨) .

فانه مطلق فى كل سرقة و كل سارقة ، و جاءت السنة و قيدت السرقة التى يجرى فيها القطع بقيود بأن تكون ربع دينار فصاعداً ، لقوله

عليه السلام « القطع فى ربع دينار فصاعداً » ، وأن يخرجها من الحرز ، إلى غير ذلك من القيود التى جاءت بها السنة .

٤ ـ إلحاق فرع من فروع الأحكام بأصله الذى ورد فى القرآن الكريم:

قد يظهر هذا الفرع لغير المدقق بأنه تشريع جديد ، و عند التدقيق يتبين أنه ملحق بأصله الذى ورد فى القرآن الكريم و هذا كثير .

من الأمثلة عليه :

١ ـ الله تعالى ذكر من تحريم الرضاعة قوله : « و أمهاتكم اللاتى أرضعنكم و أخواتكم من الرضاعة » فألحق النبى ﷺ بهاتين سائر القرابات من الرضاعة اللاتى يحرمن من النسب : كالعمة ، و الخالة و بنت الأخ و بنت الأخت و أشباه ذلك ، فقال عليه السلام : « إن الله حرم من الرضاع ما حرم من النسب » .

تشريع جديد فى السنة لا أصل له فى الكتاب :

و على هذا المنوال جاءت السنة بأحكام كثيرة لم تأت بالكتاب و هى تشريع جديد و لكنها ملحقة بأصل لها ، غير أنه ليس معنى ذلك أن الرسول ﷺ لا يأتى بتشريع جديد إلا كان ملحقاً بأصله فى القرآن و لا معناه أن كل تشريع جديد يأتى به الرسول عليه السلام لابد أن يكون ملحقاً بأصله فى القرآن الكريم ، بل ذلك هو الأغلب الأعم .

و لكن قد يأتى الرسول ﷺ بتشريع جديد ليس ملحقاً بأصله فى القرآن بل قد يكون لا أصل له فى القرآن الكريم ، فمثلا الملكية العامة الثابتة فى الأشياء التى هى من مرافق الجماعة تشريع جديد جاء به الرسول ﷺ حين قال : « المسلمون شركاء فى ثلاث : الماء و الكلأ و النار »

و هذا غير ملحق بأصله فى القرآن .

و هكذا نجد السنة راجعـــة إلى الكتاب ، و ما ورد فيها بمنزلة التفسير ، و الشرح لمعانى أحكام الكتاب من تفصيل مجمله ، و تخصيص عامه ، و تقييد مطلقه ، و الحاق فرع بأصله ، و لكن مع ذلك فان فيهـا تشريعاً جديداً لم يرد له أصل فى القرآن الكريم ، فكانت السنـة بيـاناً للقرآن و تشريعاً جديداً للاحكام .

أما البيان فيدل عليه قوله تعالى : « و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » (النحل : ٤٤) .

و أما التشريع الجديد فيدل عليه قوله تعالى : « فان تنازعتم فى شئ فرودوه إلى الله و الرسول » (النساء : ٥٩) و الرد إلى الله يكون بالرد إلى كتابه ، و الرد إلى الرسول إذا كان حياً ، فلما قبضه الله صـار الرد إلى سنته .

و الرد إلى السنة مطلق فيما هو موجود فى القرآن الكريم و فيـما كان تشريعاً جديداً ، و لذلك قال الله تعالى : « و من يطع الرسول فقد أطاع الله » (سورة النساء . ٨٠) .

وقال : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » (سورة النور ٦٣) .

و على ذلك كانت السنة دليلا شرعياً مثل الكتاب ، وقد قال رسول الله ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله وسنتى » .

الاصالة الفكرية و الهوية الروحية

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى

هذا الارشاد من الله لعباده بـ (إياك نعبد و إياك نستعين) فيها الاصالة الفكرية و الهوية الروحية للمسلمين عامة ، و العرب خاصة ، لأن فيها الاستقلال الفكرى الرائع الذى لم يلتقط من أفكار شرقية ولا غربية ، و لا يمكن أن يختلط بشئ من الأوضاع البشرية ، و البضـائع الأرضية بل و لا يمكن أن يلتقى مع شئ من ذلك أدنى التقـاء ، أو يتهزم أمام أى شئ منها أدنى هزيمة عقليـة ، لأنه فكر مرتكز على الحس الدينى ، يستمد جميع تصوراته و مفاهيمه من المعانى العميقة لعبودية الله والاستعانة به ، فالأفكار النابعة من ذلك و المستقاة منهـا أفكار أصيلة حرة نبيلة ، تنظم حياة الفرد الدينية و تنظم حيـاة المجتمع فى السياسة و الاقتصاد و الثقافة و سائر مرافق الحياة ، فهى أفكار أصيلة كاملة ، فيها من الشمول ما ينظم الدين و الدولة فى جميع الشؤون ، و الميادين ، و لذلك قال الله تعالى (و من لم يحكم بمـا أنزل الله فأولئك هم الكافرون . الظالمون ، الفاسقون) .

و هذه الأصالة الفكرية تضمن الوحدة الروحية و الثقافية لمن تمسك بها و قدرها حق قدرها و كانت جميع تصوراته و مقاصده نابعة منهـا ، و مرتكزة عليها ، و هى ليست ثقافة قومية ضيقة كما تريدها اليهود لغيرها ؛

ممن تسميهم تارة بـ (الأمميين) و تارة بـ (حميرها) و إنما هى ثقافة روحية إنسانية عالمية هادفة للصلاح و الاصلاح ، تقوم على أساس عدم العبودية لغير الله ، و عدم الخوف إلا من الله ، و عدم الاستمداد من سواه ، أو الاستعانة بغيره ، و تجعل حب الانسان وعواطفه مرتبطة بالله لا يحب إلا ما يحبه الله ، و لا يوالى إلا أحباب الله و أهل طاعتـــه ، و لا يبغض إلا ما يبغضه الله ، ولا يعادى إلا المبتدعين عن طاعة الله .

و عبادته لا يكون له فى سلوكه السياسى أغراض نفسية ، و لا فى سلوكه الاقتصادى مطامع انتهازية ، يبتز بها المال الحرام أو يبخل به عن أداء الحقوق ، و لا فى سلوكه الثقافى أو الاجتماعى شذوذ يشط به عن التزام حكم الله ، و الوقوف عند حدوده ، و لا يسلك فى النواحى السياسة مسالك العصريين الذين أعادوا الجاهلية الأولى ، فأخذوا ينتصرون للعصبية و الأغراض النفسية ، فيوالون الكافرين و يسندونهم ضد المسلمين ، للاشتراك معهم فى جنسية أو نفعية أو يسكتون عن المؤذين للمسلمين نظراً لمناصبهم الشخصية ، أو مصالحهم الوطنية ، بل يتقيدون فى ذلك بما يحبه الله و يرضاه و المسلمون .

و على الأخص العرب لمـــا استمسكوا بأصالتهم الفكرية و هويتهم الروحية كانوا مرهوبى الجانب على أوسع مدى من الحدود و النفوذ ، و القوة و السلطان ، و قصة (وامعتصماه) مشهورة لا ينساها التـاريخ ، و لم نجد من يجددهـــا أمام كوارث المسلمين فى كل مكان لفقدانهم تلك الاصالة الفكرية و الهوية الروحية ، لأن الماسونية اليهودية خططت لتفتيت ذلك و إطفاء شعلته فى عقر دارها ، بما عملته من الغزو الثقـافى المتنوع

بمكره و شره على أيدى المستعمرين ، والمبشرين ، المستترين باسم الدكتوراه و الفلسفة و الاستشراق ، مما أحدثت به الفصل بين الدين والدولة .

ذلك الفصل الذى لا يجوز و لا يصح إلا للدين المسيحى المزعوم ، الذى أحدثت به اليهود ما لا يصلح للحياة ، و جعلت الجيل المعاصر تائها تمام التيه بين الثقافات المتنازعة ، و ضائعاً بين المذاهب المادية ، من شرقية و غربية ، لا يكاد له وجود حقيق كامل بمعنى الكلمة ، بل وجود مشوه ينكره تاريخه ، و ينكره من عرف مجد آبائه و مثلهم العالية ، فأصبح الجيل متعدد الثقافات الدخيلة تتحكم فيـــه المعسكرات المادية التى حوله ، لفقدانه أصالته الفكرية و هويته الروحية الاستقلالية ، و أصبح لا يعرف من الاستقلال إلا اسمه .

و بديهى أن الأمة إذا فقدت أصالتها الفكرية الاستقلالية فقدت معها كل شئ ، لأنهـــا تصبح بلا محتوى فكرى ، و رصيد روحى ، يحفظ خصائصها ، و يدفع عنها شر التيارات المجاورة التى تعمل على محقها وسحقها بشتى أنواع الكيد و المكر ، حتى تفقد كيانها ، فان قال قائل : إن الثقافة العصرية اتسعت آفاقها و أصبحت ملكا مشاعاً لكل الأمم ، و لم تبق فائدة للثقافة الروحية التى تزعم أصالتها .

قلنا : هذا اعتراض منهزم هزيمة عقلية ، و جاهل بالفرق العظيم بين كنه الثقافتين ، فالثقافة الروحية الأصيلة مرتكزة على الايمان بالغيب الذى يجعل من ضمير الانسان رقيباً باطنياً ، يراقبه فى كل عمل و يخيفه من عقوبات الله العاجلة و الآجله ، و يجعله مخلصاً فى مقاصـــده ، صادقاً فى أقواله ، صالحاً مصلحاً فى أعماله ، كما كان أسلافنا أصلح الخلق ، و أنفع

الخلق للخلق ، و أرحم الخلق بالخلق ، لا يسكتون على باطل ، ولا يعتدون على أحد و لا يطمعون فى عرض أحد أو ماله ، و لا يسيرون مع الهوى فى أى شأن من شؤونهم .

أما الثقافة العصرية التى تزعمونها عالمية فلا نجد فيها ما يمنع أهلها بالوجدان من الاعتداء على أحد ، أو الطمع فى ماله أو عرضه ، وليس فيها ما يردع مثيرى الفتن و الأحقاد ، و مفاسد الأخلاق ، و يردهم إلى رشدهم ، و ليس فيها ما يلزمهم بالعدل بين الناس ، لأن نظرتهم نفعية صرفة ، و لذا تمادى اليهود فى ظلمهم للعرب و تشريدهم ، و التمادى فى احتلال بلادهم بلا قاهر و لا رادع ، لما تحمله هذه الثقافة المادية من الأنانية البشعة المتفاقم شرها .

فما أبعد الفوارق بين الثقافتين و ما أجهل من يرخص أصالته الفكرية ، و يتنازل عنها ، فيكون تابعاً لغيره ، إن هزيمته أعظم من كل هزيمة حربية ، لأن الهزيمة الحربية مع صحة الأفكار الأصيلة و سلامة العقيدة قد يكون منهـا أعظم الحوافز و الاستعداد لأخذ الثأر ، و لكن الهزيمة العقلية تتحول بها القيم و تنعكس بهـا المفاهيم ، فيتميع بها الانسان فى أخلاقه ، و يتمعمع فى سلوكه و أفكاره فى شتى ميادين الحياة ، لفقدانه أصالته الفكرية ، و مقوماته الروحيـة ، فيذهب ضحية للتخريب الفكرى فى ميدان السياسة و الثقافة و الاقتصاد ، الذى يقوم به عدوه و عملاء عدوه ممن يختارهم غالباً من بنى جلدته .

و قد أخبرنا الله عن المنافقين المذبذبين ، فاقدى العقيدة و الأصالة الفكرية ، أنهم لا يتعظون بالمحن و الأحداث ، حيث قال تعالى (أولا

يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون و لا هم يذكرون) ٩ - ١٢٦) و ها نحن نرى ورثتهم من قومنا تتوالى عليهم المحن و الفتن فى عقر دارهم ، ممن يسمى (إسرائيل) و هم فى طغيانهم يعمهون ، لم يكفروا بالجبت و الطاغوت ، فى الناحية التربوية ، فيرفضوا المناهج التعليمية الماسونية ، من غربية و شرقية ، و يعودوا إلى تربية محمد (ص) ؛ و يتركوا التربية المادية المائعة السائرة على تقليد أعدائها فى كل ميدان ، و لم يكفروا بالجبت و الطاغوت فى النواحى السياسية فيرسموا خطة إسلامية صحيحة سليمة ، تربطهم بجميع المسلمين ، الذين يشكلون أعظم عدد و أضخمه بين الأمم ، و يكونوا يداً واحدة على أعدائهم .

بل استمروا فى مناهجهم التعليمية على الخطط السابقة التى رسمها لهم أعداؤهم ، و لم يلتفتوا إلى التربية الدينية ، و يكيفوا المناهج بها ، بدلا من تكييفها بالالحاد ، كما استمروا على إبعاد الدين الاسلامى عن الحكم ، و طمس تشريعاته و معـاداة المسلمين و التنفير عنهم ، بشتى الأساليب ، و موالاة الدول العلمانية التى أقصت الدين عن التشريع مثلهم ، تمادياً منهم فى نبذ ملة إبراهيم ، و نقض عهد الله الذى يربطهم بهم ، و قطع لما أمر الله به أن يوصل من اسنادهم .

و لم يكفروا بالجبت و الطاغوت فى النواحى الاجتماعية التشريعية ، فيعيدوا الحكم بشريعة الله والأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، ويطهروا مجتمعهم و وسائل إعلامهم من لهو الحديث المتنوع ؛ و المجون والمسارح و المراقص ، و سائر الملاهى و الخمور ، و التبرج والتهتك ، و لم يصدقوا التوبه لله بتحريم ما حرمه الله ، و إقامة حدوده فى كل شئ ، بل استمروا

على ما خططته (اليونسكو) و غيرها فى التربية ، و ما خططوه فى وسائل الاعلام و نموها ، من اللهو و الطرب .

و استمروا فى استحسان كل منكر باسم التقدم والتطور بل استمروا فى محاربة الله و رسوله باباحتهم ما حرماهما من الخمور و الربا ، و القمار و الزنا ، و تشريعهم القوانين الديوثية المعفية للزناة من إقامة حدود الله ، و تشريعهم سائر الأنظمة المخالفة لشريعة الله ، و المعلنين فيها عن الحادهم فى أسماء الله ، بقولهم عن أحكامه أنها قاسية لا تصلح لهذا العصر ، و لا تساير التمدن و التطور ، مما هو كالتصريح بأن الله ليس عليماً ولا حكيماً و لا رحماناً و لا رحيماً .

و مع ذلك لم يتوبوا و لم يتذكروا أمام هذه المحن و الفتن ، حتى هزيمتهم النكراء أمام جرذان الخليقة من اليهود فى شهر حزيران لم تحفزهم على الرجوع إلى الله و تحكيم دينه ، و حمل رسالته ، بل تمادوا فى الشرود عنه ، و هذا شئ أخطر من نكبة حزيران بل من كل نكبة ، و سببه انعدام القلوب السليمة ، و الأفكار الصحيحة الاستقلالية ، التى لو وجدت لغيرت أحوالهم رأساً على عقب ، و لكن أنى يوجد هذان بدون تمحيص الصدق مع الله فى تحقيق الوفاء بمدلول الضراعة إلى الله بـ (إياك نعبد و إياك نستعين) ، ذلك الشعار الروحى العقائدى الذى بقوة تحقيقه تتحقق الأصالة الفكرية ، و يرتفع أهلها عن كل تميع و تقليد ، و الله المستعان .

الدرس الاخير فى باب التوحيد

(معرب)

فضيلة الشيخ محمد منظور النعمانى
منشئ مجلة « الفرقان » لكهنؤ (الهند)

إن التوحيد و ما قدمنا حوله من البحث إنما هو ميزة القرآن و الاسلام ، إذ لا نعرف كتاباً دينياً أو صحيفة سماوية أو تعاليم نبى أوهاد يتضمن مثل هذا الدرس الشامل لمناحى التوحيد كلها ، و يحوى هذا البحث المتكامل فى باب التوحيد ، ولكن القرآن تقدم خطوة أخرى أيضاً فى موضوع التوحيد و جاء فيه بكلام نستطيع أن نسميه الدرس الأخير المكمل للتوحيد ، فقد قال فى آخر سورة الأنعام مخاطباً للنبى ﷺ « قل إن صلاتى و نسكى و محياى و مماتى لله رب العالمين ، لا شريك له ؛ وبذلك أمرت و أنا أول المسلمين » .

لقد أمر الله سبحانه و تعالى فى هذه الآية نبيه محمداً ﷺ بأن يعلن مدوياً أن صلاتى و سائر عباداتى كلها لله كما أن حياتى و مماتى لله تعالى ، و قد أمرت بذلك ، فكل ما أقوم به من عمل صغيراً كان أو كبيراً ، و كل ما أملكه من شئ إنما اعتبره لله سبحانه و تعالى ، فلا أعيش إلا فى رضاه و طوع إشارته دائماً ، إنى أول الناس خضوعاً لأمر الله تعالى هذا ، و أسرع الناس إلى طاعته و طلب مرضاته ؛ فى كل آن و لمحة .

و ما من شك فى أن أرفع منزلة للتوحيد أن يفوض العبد نفسه إلى الله تعالى ، و يعتقد أن حياته و مماته و كل ما يملكه إنما هو لله تعالى فلا يعيش إلا فى رضاه ولا يخضع إلا لأمره .

و لعل الحكمة فى أسلوب القرآن الحكيم حول هذا الموضوع وتوجيه الأمر إلى رسول الله ﷺ بهذا الاعلان العام للناس ، أن نبياً حينما يعلن بلسانه أمام العالم عن تركيز كل خضوع و عبادة و تفويض الحياة و المماة كلها إلى الله تعالى ، ويقول : « إن صلاتى و نسكى و محياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له و بذلك أمرت و أنا أول المسلمين » لا تبقى مندوحة لأى إنسان أن يعتبر ذلك الرسول شريكا فى الألوهية فى أى لمحة .

و الحقيقة أن الأمة التى آمنت بالنبى ﷺ كخاتم النبيين وسيد الرسل كانت تتعرض لهذا الخطر الكبير فى باب التوحيد ، إذ لم تكن بمأمن من أن تزعم النبى ﷺ إلهاً أو شريكا فى الألوهية كما فعلت أمة عيسى عليه السلام معه ، و لأجل ذلك فان القرآن ذكر معانى عبدية النبى عليه الصلاة و السلام و بشريته ، و بين عجزه و خشوعه لله تعالى فى آيات كثيرة ، و اتخذ لذلك فى أكثر الآيات أسلوب الخطاب كأنه ﷺ يؤمر بايضاح ذلك من قبل نفسه فتارة يقول : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد ، فاستقيموا إليه و استغفروه و ويل للمشركين » (سورة السجدة) .

و تارة يخاطب فيقول : « قل سبحان ربى ، هل كنت إلا بشراً رسولا » (سورة بنى إسرائيل) و مرة يطالب و يقول : « قل إنى لا

أملك لكم ضراً ولا رشداً ، قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحداً » (سورة الجن) و فى موضع آخر : « قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، و لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، و ما مسنى السوء ، ان أنا إلا نذير و بشير » (سورة الأعراف) .

و قد اهتم القرآن بالتعبير عن كلمة « العبد » فى كل موضع تناول فيه النبى ﷺ بذكر خصائصه و امتيازاته و ما خصه الله من معجزات و خوارق ، و ذلك لتأمين الأمة الاسلامية عن أخطار الشرك ، التى وقعت فيها الأمم السابقة ، فكرامة الاسراء و المعراج التى ساقها الله إليه و خصه و أكرمه بها دون سائر الأنبياء و الرسل و الملائكة ، ذكرها القرآن بنفس هذا الأسلوب ، و قال : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا » و حينما ذكر القرآن قصة المعراج و بين اقتراب النبى ﷺ إلى حضرة الرب تبارك و تعالى و قال : « فكان قاب قوسين أو أدنى » أردف ذلك بقوله : « فأوحى إلى عبده ما أوحى » لكيلا يكون هذا الاقتراب مثارشك فى عبديته ﷺ .

و يجدر بالذكر فى هذه المناسبة أن كلمة الشهادة التى تعتبر أساساً للاسلام و هى « أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً عبده ورسوله» لا تحتوى على الشهادة بوحدانية الله تعالى و إعلانها و الاعتراف بها فحسب ، بل تشمل شهادة عبدية محمد ﷺ مع الايمان برسالته ، و هى شهادة لا يكمل الايمان بدونها ، و لا يعتبر المرء مسلماً ما لم يشهد و يعترف بذلك .

و على رغم أننى لم أهتم فى هذه المقالات إلا بعرض الموضوع فى ضوء القرآن و تعاليمه فقط ، غير أنه يحلولى ـ و أنا أتحدث عن الدرس الأخير فى باب التوحيد ـ أن أقدم إلى القراء بعض تلك الأحاديث التى تحدث فيها النبى ﷺ عن عبديته و خنوعه أمام الله تعالى ، لكى يسد فى وجه أمته باب تلك الضلالة التى وقعت فريستها أمم من قبله من الأنبياء كالمسيح عليه السلام ، يقول ﷺ فى إحدى المناسبات : « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، أنا عبده ؛ فقولوا عبد الله و رسوله » رواه البخارى و مسلم عن عمر رضى الله عنه) و جاء فى حديث آخر ضمن تاكيد لأحد أصحابه « لا ترفعونى فوق حقى ، فان الله تعالى قد اتخذنى عبداً قبل أن يتخذنى رسولا » (رواه الطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك) .

و قد حدث مرة أن بعض الصحابة أفرطوا فى إبداء تعظيمهم وإ جلالهم له ، فاستنكر ذلك منهم و شدد النكير ، حيث قال : « لا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، عبد الله و رسوله ، ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله » (رواه أحمد و عبد بن حميد و سعيد بن منصور و البيهقى فى شعب الايمان) و ذات مرة قال أحد الصحابة ضمن كلام له « ما شاء الله و شئت » فغضب عليه النبى ﷺ وقال : « جعلتنى لله نداً ، بل ما شاء الله وحده » (رواه الطبرانى فى الكبير ـ كنز العمال ج ٢ ص ١٣٤) .

و رأى النبى ﷺ أن بعض الأمم التى سبقته اتخذت قبور أنبيائها مساجد ، و اعتبرتهم مثل الاله بالرغم من أن أولئك الأنبياء قاموا بمحاربة الشرك و بذلوا جهوداً كبيرة فى اقتلاع جذوره من النفوس ، و تلقين

درس التوحيد فى المجتمع ، فحذر النبى عليه الصلاة و السلام أمته من ذلك ، و أنذرهم بقوله : « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، فلا تتخذوا القبور مساجد ، إنى أنهاكم عن ذلك » (رواه مسلم عن جندب بن عبد الله) و دعا الله سبحانه قبل وفاته فى مرضه الأخير فقال : « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (مؤطأ الامام مالك) .

و لا شك فان هذه التصريحات من النبى ﷺ إنما كانت بمثابة سد منيع فى وجه الشرك و عبادة غير الله ، و هى تفسير لما جاء فى القرآن من درس التوحيد ، فصلوات الله و سلامه على النبى الكريم ﷺ الذى شرح للناس موضوع التوحيد بمثل هذا الايضاح والصراحة ، و سد جميع منافذ الشرك بمثل هذه القوة و الصرامة .

ذم الشرك و المشركين و البراءة منهم :

وجه القرآن إنذاراً إلى المشركين و الثائرين على دعوة التوحيد حيث دعا الناس إلى توحيد الله سبحانه و تنزيهه من جميع شوائب الشرك، و اتخذ لذلك أسلوب التحذير من سوء عاقبة الشرك ، و أعلن عن مقت الله الشديد و غضبه و كراهيته لمن يشرك به ، و لنقرأ آيات فى هذا الموضوع ، فقد قال الله تعالى فى سورة النساء : « إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء » و فى سورة المائدة « إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، و مأواه النار ، و ما للظالمين من أنصار » .

و لأجل أن الشرك ليس مما يغفر أو يصفح عنه ، ولأن كل مشرك

لابد من أن يلقى مصيره المحتوم، و يلقى فى نار جهنم ، أمر النبى ﷺ و المؤمنون جميعاً أن لا يستغفروا لأى مشرك ولا يدعو الله له ، فان الله لا يرضى بأن يدعى للمشركين و يستغفر لهم ، يقول الله تعالى : « ماكان للمشركين و الذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ، و لو كانوا أولى قربى » (سورة التوبة) و جاء فى نفس هذه السورة « إنما المشركون نجس » و فيها أيضاً « أن الله برىء من المشركين و رسوله » .

و لو أننا لم نتخذ أسلوب الايجاز فى موضوع دعوة التوحيد التى ذكرها القرآن ، ولكننا على رغم من ذلك نجزم كل الجزم أن ما أوردناه فى هذا الباب و قدمناه إلى القراء إنما هو قطرة من بحر زاخر لا يعرف له أول و لا آخر .

و الذى أكرمه الله بنعمة فهم القرآن و التأمل فى آياته و ما فيها من أسرار و علوم يستطيع أن يفهم بالتدبر المباشر فى القرآن تلك المعانى التى تحويها دعوة التوحيد فى القرآن ، و ينزل إلى أعماق دقائق الموضوع و سعة آفاقه ، بل إنه كلما فكر و تدبر فيه علم أن علمه محدود جداً بالنسبة إلى ما أودع الله فى القرآن من المعارف والحكم و الأسرار و الدقائق ما ليس له حد و لا نهاية .

استدراك

جاء فى مقال « أهم ما يتطلبه القرآن فى باب التوحيد » المنشور فى العدد ١٠ من المجلد ١٤ فى ص ٤٧ السطر ٩ «قد اختلق اليهود» والصواب « قد اختلق النصارى » فنرجو القراء تصويب هذا الخطأ ،

« التحرير »

تهنئة و وصية . . . .

فضيلة الشيخ عبد البديع صقر
مدير المكتبات العامة ـ الدوحة ـ (قطر)

عزيزى الفاضل ..... أهنئك بالمنصب الجديد و أسأل الله أن يجعلك نافعاً مؤفقاً .

لقد طلبت منى أن أكتب لك نصيحة بهذه المناسبة ، وهذا تواضع منك جميل . . .

و أول ما أوصيك به ـ تقوى الله عز و جل . . فانها ترقق القلب و توجد فيه الرحمة على المستضعفين ـ و الرحمة من الله و من الرؤساء هى هدية الله لأهل الأرض .

و « ويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله » .

ثم إن الدولة قد جعلتك عاملا فيها ، و استحقت جانباً من وقتك فهو ملك لها ـ و يسمونه الدوام الرسمى ـ فعليك أن لا تفرط فى هذا الوقت فيضيع هدراً مع زائر ثقيل ، أو شريف نبيل ، أو صديق عزيز . . و لا شك أن لبعض الناس حقاً أكثر من غيره ، و لكن حاول أن تكرم أحبابك فى غير وقت الدوام .

و أهم ما يلزم للرئيس هو الشعور بالمسؤلية ، و عدم المجاملة فى الحق، فان ارضاء الناس بالمجاملة لا يكون إلا على حساب المصلحة العامة التى

أقسمت على رعايتها ، و اعلم أن الذى يغضب منك اليوم سيرضى عنك غداً ، إذا تبين له أنك تمشى على طريق مستقيم مع الجميع .

و من الشعور بالمسئولية المحافظة على مال الدولة و سمعة الدولة .

و من الشعور بالمسئولية الخوف من السؤال فى الدنيا ثم فى الآخرة .

و من الشعور بالمسئولية وجوب إعطاء وقت كاف لدراسة القضايا الهامة .

و اعلم أنك قدوة لمن حولك فى أعمالك و أقوالك و أخلاقك . . فلو سهلت الأمور لسهلها أعوانك و لو عقدتها و أجلتها لزادوها تعقيداً و تأجيلا . . ولو طمعت لكانوا أطمع منك ؛ و لو زهدت لتعلموا منك الزهد و عزة النفس ، و لو كنت منظماً لا تنظمت الدائرة و لو حافظت على الصلاة لأقامها تاركها ، و لو كرهت شيئاً لكرهوه — فراقب نفسك حتى لا يصدر عنك إلا الزين .

و عليك بحسن اختيار الأعوان و خصوصاً أهل الولاية العامة و رؤساء الادارات ، لأن الخير يلد الخير و الشر يلد الشر ، وكم رأينا رؤساء مخاصين أفسدتهم بطانات السوء ، حتى ملاؤا الأرض باسمهم جوراً و ظلماً . . و إن كل البلاد اليوم تموج بتيارات شتى ، ولا تغمط أقدار الناس بسبب جنسياتهم ، لأن الرجال تعد بالآحاد لا بالجملة و لا بحسب الأقوام .

و لا تنسى أنك تمثل الدولة و عينها الساهرة ـ فيما يدخل باختصاصك ـ و معنى هذا أننا سنسكت ، لأنك أنت المطالب بالحق ، و ستنام لأنك ستسهر لنا فلا تستحى من متابعة المقاولين الذى أخذوا

الأجرة و لم يتموا العمل .

و متابعة المشرفين الذين أكلوا الحرام و تستروا على العيوب و النواقص .

و محاسبة المتعهدين الذين حجزوا الصفقة و لم يتمموا الالتزام فكل هذا و أمثاله من حقوق الله . . و أنت المسئول عنها جميعاً .

و إياك يا أخى أن تحجب نفسك عن الناس . . بل اسمح لهم بالدخول عليك فى أوقات يعلمونها ـ و تلزم نفسك بها ـ من خلال نظام بسيط ، و سكرتير سمح بشوش ، لا يهينهم ولا يزجرهم ، واسمح بالشكوى والتظلم ـ لأن هذا الحق يسمعك نبض القلوب الموجوعة ، ثم عين للظالم من يدرسها بعلم الخبير و أمانة الأمين و يرفعها إليك . . و لا تنس أن تعاقب المنحرف من رجالك . فذلك من أفضل ما تعمل .

و لا تخلو الأمور بين كبار المسئولين من تنافس أو احتكاك ، لأن قضايا الحكم و أعمال الدوائر متداخلة ـ فلا تكن أحد المتصارعين ، و لا المتكبرين ، و اترك عنك الحساسية التى تصيب (الكبار) و إن الله عالج فينا هذه بقوله « أذلة على المؤمنين » و اعلم أن مخاصمتك لزميلك تضر بمصلحة وطنك أعظم الضرر ، فكن أنت البادئ بالمودة لوجه الله و كما يقولون « إذا عز أخوك فهن » .

و بعض الرؤساء يسيره « الروتين » يذهب للديوان لتوقيع الأوراق التى يعرضونها عليه ، و هو فى ذلك كالآلة التى يديرها غيرها فان تركها وقفت و صدئت . . و لكن فكر ، و ابتكر ، و ادرس الحالة العامة لتنشئ الجديد النافع ـ و ادفع غيرك للحركة و الحياة ، و أكثر من مشاورة

أولى البصيرة كل فى اختصاص .

أحذرك من الوقوع فى الحصار . . نعم إياك و القلاع الذهبية التى يصنعها الأعوان للرؤساء ، زعموا أن بعض « باشوات » الأتراك قالوا للخليفة أنت نور الله فى الأرض . . و لو غضبت على بلدة و وجهت وجهك إليها لا حترقت ، فاتق الله فى الشعب ولا تخرج من هذا القصر ودعنا نصرف الأمور . . و بهذا سجنوه فى أضيق الحدود .

إن بعض الرؤساء — يستولى عليهم الاعجاب بموظف أو اثنين أو ثلاثة . . فيتعاملون معهم و ينعزلون عن غيرهم . . و يجتهد هؤلاء فى فرض الحصار على الرئيس و على باقى الفروع بحيث لا يرى ولا يسمع إلا من خلال تلك الدائرة الضيقة .

فان حصل هذا شاع الظلم و الاستبداد فى الجهاز كله . . و لكن عليك يا أخى باحترام رأى اللجان و إشعار الجميع بأنك للجميع ، ليس عندك عزيز و ليس دون صاحب الرأى حجاب .

و أوصيك باحترام التاريخ . فهذه الدائرة التى تسلمتها مستوية على سوقها من الذى أنشأها ؟ و من الذى كان ينهض بها قبلك ، و من هم الذين خططوا لها سياستها العليا ؟ لقد تعب فيها ناس ، و هلك فيها ناس و تفانى فيها أقوام ، و تكونت لهم خبرات غالية ، فما أحراك أن تنتفع بكل هذا . . و أعط كل ذى حق حقه — و لقد عاب الله قوماً فقال « و لا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً » — و لكن أكمل البناء حتى يبقى لك اللاحقون كما كنت وفياً للسابقين .

وفقك الله يا أخى و سدد خطاك و السلام ؟

دراسات وأبحاث

تقديم و تعريف

لكتاب

« نزهة الخواطر و بهجة المسامع والنواظر »

تأليف العلامة عبد الحى الحسنى (م ١٣٤١هـ)

بقلم الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين محمد و آله و صحبه أجمعين ، و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد كانت الهند ـ كما يعلم من له إلمام بالتاريخ الاسلامى ـ حلقة ذهبية مهمة من حلقات العالم الاسلامى ، و قد مثلت دوراً فريداً ذا شخصية خاصة فى الفكر الاسلامى و العلوم الاسلامية ، يتحقق ذلك من أجال نظره فى كتاب « الثقافة الاسلامية فى الهند » للعلامة السيد عبد الحى الحسنى الذى نشره « المجمع العلمى العربى بدمشق (١) » فى ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م ، و الذى نتحدث عن كتابه « نزهة الخواطر » فى هذا المقال ، و غمرت الهند موجات الهجرة الاسلامية بعد حملة التتار على العالم الاسلامى بصفة خاصة ، إذ كانت من أقوى الحصون و المعاقل للعناصر الاسلامية الكريمة القوية ؛ و الأسر النجيبة الذكية ، العريقة فى الدين والعلم فى إيران و تركستان ، و ما وراء النهر بصفة خاصة ، وهى المنطقة التى وقعت تحت سنابك المغيرين ، و تحت رحمة الوحوش فى فجر القرن السابع الهجرى ،

(١) و يدعى بمجمع اللغة العربية الآن .

و ذلك بوجود حكومات إسلامية قوية فى الهند ، كانت تتلقى هذه الوفود الكريمة بصدر رحب ، و تكرم وفادتها ؛ و تحسن رفادتها ، و تتنافس فى أكبر عدد من العلماء ، و السادة ، و الأشراف ، و أهل الفضل والصلاح الذين يلتجئون إليها ، و تعتبر وجودهم مفخرة ليست فوقها مفخرة ، وقد هزمت هذه الحكومات الاسلامية الجنود الزاحفة من التتار شر هزيمة ، جربها التتار فى تاريخهم الطويل ، الذى لم يكن يعرف غير الانتصار ، و غير النار والدمار ، و حطمت جيوشهم تحطيماً لا يعرف فى غير هذه الناحية من نواحى العالم الاسلامى . و ناهيك ! بأن التتار قد زحفوا على الهند خمس مرات فى حكومة علاء الدين الخلجى (٦٩٦ ـ ٧١٦هـ) وحده ، بجماس و تصميم عرف بهما التتار ، وهزمتهم الجنود العلائية هزيمة منكرة ، و افترستهم افتراس الذئاب للنعاج ، و لم يطمحوا بعد ذلك إلى إلى الغارة على الهند و لم يستشرفوا لها ، و ظل علماء المسلمين آمنين ، مطمئنين ، عاكفين على الدرس و التأليف . و نشر العلم والدين ، والتربية والارشاد ، و ازدهرت الثقافة الاسلامية ازدهاراً لم يعرف فى بلد إسلامى آخر فى هذه القرون التى تعتبر قرون انحطاط عام فى العلم و الأدب ، والفكر والتأليف ، و ساد على العالم العربى الذى أثخنته حملة التتار ، وابتلى بحكم المماليك و الأعاجم ، الاعياء الفكرى ، و الشلل العلمى ، و انتشر التقليد ، و فقدت الأصالة و الابداع ، و ظلت خلية الاسلام تعمل فى الهند فى قرون متوالية ، و زخرت القرى الكبيرة ، فضلا عن المدن و الحواضر ؛ فضلا عن قصبات البلاد و عواصم الحكومات ، بالعلماء و المعلمين المنقطعين إلى الدرس و الافادة . و المؤلفين المتجردين للتأليف

والكتابة ، والشيوخ العاكفين ، على الزهد و العبادة ، و الارشاد والافادة لا يحصيهم إلا من أحصى رمل « عالج » و شعر غنم « بنى كلب » حتى إن المتصفح لكتاب من كتب التراجم و التاريخ ، يتخيل أن هذا البلد لم يكن يعرف غير صناعة العلم و التعليم ، أو التأليف و التدريس ، أو تربية القلوب و تهذيب النفوس ، أو أنه لم يكن يسكنه غير العلماء و أهل الفضل .

و لكن الهند بقيت محجبة عن أنظار العلماء و المؤرخين فى العالم العربى لأسباب كثيرة ، منها : بعد هذا الجزء عن العالم الاسلامى عن جادة الثقافة الاسلامية العالمية التى تمر عليها قوافل العلم و التدوين ، و بسبب أنطوائها على نفسها ، و بسبب أن اللغة الفارسية ظلت لغة الديوان ، و لغة التدوين و التاريخ ، طول الحكم الاسلامى فى الهند ، و لو لا الحج ، ولو لا مكة - مثابة للناس - التى عرف أهل الهند فى كل عصر من عصورهم بشدة الشوق إليها ، و ارتباط القلوب و النفوس بها ، و اجتماع علماء الهند و أهل الفضل منهم بعلماء العالم العربى فى الحرمين الشريفين ، وتلمذتهم عليهم فى علم الحديث خاصة ، و إقامة بعض علمائهم الطويلة فى ربوعها ، و هجرة بعضهم إليها ، لكانت الهند فى عزلة تامة عن العالم الاسلامى ، و بقيت مجهولة تحتاج إلى مغامر ككولمبس لاكتشاف هذا العالم الغريب .

و يدل على ذلك دلالة واضحة أن العلماء الذين ألفوا الكتب فى الطبقات ، و تراجم الرجال فى بلاد العرب على حسب القرون ، لم يذكروا أعيان الهند و علماءها و نوابغ رجالها ، إلا تحلة القسم (١) .

(١) راجع مقدمة الجزء الأول، لكتاب «نزهة الخواطر ..(١)عنوانها : «الهند ومكانتها فى تاريخ الاسلام» (ص يد - يه)

و قد كان موضوع الطبقات و تراجم الرجال موضوعاً طرقه علماء المسلمين ، و المؤلفون فى الهند فى كل عصر و جيل ، وكان ذلك شيئاً طبعياً ، و كانت الدواعى إليه كثيرة ، و قد تخصص عدد من المؤلفين الكبار لهذا الموضوع ، و لنظرة عجلى فى قسم الطبقات و التراجم ، وسير الرجال فى « الثقافة الاسلامية فى الهند » كفيلة بالاطلاع على المكتبة الضخمة ، التى خلفها العلماء و المؤلفون فى الهند ، ولكن جلها أو كلها فى اللغة الفارسية ، ثم إنها موجزة مقصورة على عدد قليل من الشخصيات ، ثم إنها لا تحيط بالهند إحاطة مكانية ، أو إحاطة زمانية ، و بعضها لا تحتوى إلا على قرنين ، أو ثلاثة قرون ، أو أن مؤلفيها قد مضت على وفاتهم مدة قرون ، ثم إن بعضها لا تشمل إلا على تراجم طبقة واحدة أو مذهب خاص ، أو فرقة من فرق المسلمين ، أو تسيطر على مؤلفيها نزعة خاصة ، أو اتجاه خاص .

و قد كانت الحاجة ماسة إلى أن ينهض لسد هذه الثغرة فى تاريخ الثقافة الاسلامية بصفة عامة ؛ و فى تاريخ الهند بصفة خاصة ، رجل رزق علو الهمة و سعة النظر ، ورحابة الصدر ، و تنوع الثقافة و دقة الملاحظة و سعة الأناة ، و تمكنه الظروف الخاصة من الاتصال بمختلف الطبقات و الفرق ، و المذاهب و الآراء ، و الاطلاع على المراجع الكثيرة فى اللغات المتنوعة ، و العصور المختلفة و الافادة منها ، و يتخير لهذا العمل الجليل ، و لتعريف العالم الاسلامى بالهند ، اللغة العربية التى هى لغة التفاهم العالمية ، و هى اللغة التى ضمن الله لها بالخلود والبقاء على أصالتها وصيغتها المضريه الفصحى بفضل القرآن ، و يكون من الكتاب المترسلين فيها ، ومن

ذوى البيان الذين تحرروا من السجع و البديع ، والمزخرفات اللفظية التى تورط فيها و أمعن كل من تناول هذا الموضوع فى الهند ، و فى غير الهند غالباً فى القرون الماضية .

و قد كانت ساعة سعيدة حين قرر السيد عبد الحى بن فخر الدين الحسنى (١٢٨٦ - ١٣٤١ ﻫ) و هو طالب شاب ، يتنقل فى حلقات الدروس فى « لكهنؤ » بلد العلم و الآداب ، فى فجر القرن الرابع عشر الهجرى ، أن يؤلف كتاباً فى تراجم علماء الهند و أعيانها من القرن الاسلامى الأول حين دخل فيها الاسلام ، إلى القرن الرابع عشر الذى يعيش فيه ، و لعل الأوراق التى كان يراها بيد شيخه - الشيخ محمد نعيم الأنصارى (١) اللكهنوى ، من أبناء أعمام الامام عبد الحى اللكهنوى و معاصريه — التى كتبها فى تراجم العلماء أوحت إليه بهذه الفكرة التى كانت لا تتناسب مع سنه و ثقافته يومئذ ، ولكن الهمة الشامخة لا تخضع للقاييس و المقادير ، إنه طمح إليها و هيأ نفسه لها ، و احتضنها احتضاناً لم يفارقه إلى آخر يوم من أيام حياته ، فيقدر أنه عاش فى هذه الفكرة ، و اشتغل بهذا التأليف نحو ثلاثين سنة ، و قد كان من سمو همته و طموحه و ألمعيته ، و بعد نظره أن يؤثر اللغة العربية لتأليف هذا الكتاب ، و قد بلغت منتهى الضعف والركاكة فى عصره ، بضعف الكتب التى كانت مقررة فى المنهاج الدراسى ، والانشاء المسجوع التقليدى الذى كان سائداً فى الهند منذ قرون ، وكان من الشجاعة الأدبية ؛ بل من المغامرة أن يقرر طالب شاب قد نشأ على دراسة كتاب « المقامات » للحريرى و ما شاكلها تأليف

(1) إقرأ ترجمته فى ج ٨ من « نزهة الخواطر »

هذا الكتاب ، الذى تتنوع فيه الأغراض ، و تتسع فيه دائرة التعبير ، فى اللغة العربية التى لا يجد لها نموذجاً إلا فى كتب أدبية من الأسلوب العجمى المتكلف ، و لم تكن هذه الصلات الثقافية و المجلات و النشرات ، و وسائل الاستيراد العلمى و الثقافى ، قد حدثت فى عصره حتى يتمكن من الاطلاع على ما جد و نشر فى الشرق العربى من الآثار العلمية ، و المؤلفات العربية ، و قد كان له كل المغريات و الدواعى إلى أن يؤلف هذا الكتاب فى اللغة الفارسية التى يحذقها ، و يكتب فيها بسهولة وطبع ، أو اللغة الأردية التى كان من أدبائها الناهضين ، و كتابها المرموقين ، ولكنه قد أحسن إلى نفسه و أحسن إلى بلاده التى ولد فيها و أحبها ، حين اختار اللغة العربية لهذا التأليف ، فاللغة الفارسية قد أفل نجمها فى عصره ، و تقلص ظلها فلم تبق إلا فى نطاق محدود كان يتضايق و ينضوى على مر الأيام ، و أما اللغة الأردية فهى لا تزال فى طور انتقال و تطور ، و لم يقرر مصيرها بعد فى الهند ، و التى تواجه مشكلة كثرة اللغات واللهجات ، والتطرف الطائفى ، الذى لا يزال يهدد كيان هذه اللغة و بقاءها فى الهند .

و بدأ المؤلف رحلته العلمية التأليفية ، التى لم يكن يقدر أنها ستطول هذا الطول ، و أنها ستكون من العسر و الالتواء بهذا المكان ، و قد أحاط المؤلفون فى التاريخ عملهم بأسوار من السجع البارد ، و التنميق اللفظى ، ثم إنهم ملأوا كتبهم بذكر الخوارق و الأمور الغريبة ، وأهملوا ما يهم الدارس معرفته من السنين والتواريخ ، و أسماء الأساتذة والشيوخ ، و ذكر المؤلفات و الآثار العلمية و العملية ، و العادات و الأخلاق ، و الصفات التى يتميز بها إنسان عن إنسان ، و مراحل الحياة الطبعية ،

فضلا عن الجو السياسى و الاجتماعى الذى كان يكتنفهم ، والملابسات التى كانوا يعيشون فيها ، فيقرأ الباحث مئات من الصفحات ، و لا يرجع بما يسطر به صفحة من صفحات التاريخ الحقيقى ، فكان المؤلف يشعر بأنه يسير فى نفق مظلم لا يصل إليه النور و الهواء ، و كان لابد أن يرجع إلى كتب و مجموعات ليست من التاريخ بسبيل ، و لا تخطر من المؤلف ببال ، فيظفر فيها بما لا يظفر فى كتب التراجم و السير ، و قد يجد فيها حلقة مفقودة لا تكمل بغيرها ترجمة العالم ، أو الأمير ، أو المؤلف ، وكان فى حاجة إلى أن لا يقتصر على المطبوع المنشور ، بل يراسل أخلاف هؤلاء العلماء ، و المنتمين إليهم ، و يزور المكتبات ، و ينتسخ المخطوطات، وكان بحكم مركز بيته العلمى الدينى و بحكم إشرافه على ندوة العلماء ، كثير الاتصال بجماعات العلماء ، و أهل الفضل و النباهة ، فساعده كل ذلك على إكمال مهمته و تحقيق غايته ، و كان أكبر لذته فى تأليف هذا الكتاب ، و لعل أحلى ساعاته و أطيبها ، كانت الساعة التى يخلو فيها بنفسه ، و بقلمه و أوراقه و مراجعه .

وقد ظل عاكفاً على هذا العمل طول حياته ، لم يقطعه منه اضطراب سياسى ، أو حادثة شخصية ، أو حرفته ـ الطب الذى كان ناجحاً فيه ـ أو اشتغاله بادارة ندوة العلماء ، و تنظيم حفلاتها السنوية ، فى مدن الهند المختلفة ، حتى جاء هذا الكتاب فى ثمانية أجزاء كبار ، و اشتمل على أربعة آلاف وخمس مأة و نيف من التراجم ، و لعل الهند هى القطر الاسلامى الوحيد البعيد الذى سجلت تراجم أعيانه من القرن الاسلامى الأول إلى القرن المعاصر فى كتاب واحد ، فهنالك أقطار إسلامية قد مثلت دوراً

خطيراً فى تاريخ الفكر الاسلامى ، و فى تاريخ العلوم الاسلامية ، و نبغ فيها من العلماء والعظماء الذين لا يحصون بحد و عد ، كبخارى ، و سمرقند و أفغانستان و غيرها ، لم يكتب تاريخ رجالها ؛ و لم تدون تراجم أبنائها بهذا التسلسل و التحقيق .

و قد صب المؤلف فى هذا الكتاب مواهبه و سجاياه ، فجاء قطعة من نفسه و نسخة من روحه ، صفاء حس و رقة شعور ، و اندفاعاً إلى الجمال و الكمال أينما وجدا ؛ واعترافاً بالفضل أينما حل و استقر ، واقتصاداً فى المدح و النقد ، و تنبيهاً لمواضع الضعف ، و مما لا يخلو منه بشر ، و عذوبة عبارة ، و خفة روح ، و تنوع مادة ، فأصبح الكتاب لا يمل و لا يستثقل ، و أصبح سميراً عزيزاً ، و نديماً فكهاً ، و موعظة و ذكرى و درساً و عبرة .

وكان المؤلف على سجية المؤلفين القدامى ، عاكفاً على التأليف و البحث و التنقيب ، لا يفكر فى مصير هذا الجهاد الشاق ، و الرحلة الطويلة ، و لم يحدث بذلك كثيراً من إخوانه و زملائه الذين يجالسونه ، و لم يبحث له عن ناشر ، حتى فارق هذه الدنيا فى الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٤١هـ ، و خلت هذه المكتبة العظيمة ، و مضى عليها نحو عشر سنوات ، ولا سبيل إلى طبعها ، فقد كان ذلك عمل مجمع علمى كبير ، أو حكومة منظمة ، حتى هيأ الله له الأسباب ، فقد طبعت دائرة المعارف العثمانية فى حيدرآباد كتاب « الدرر الكامنة » للحافظ ابن حجر العسقلانى ، و اقترح بعض من لهم اطلاع على هذا الكنز الدفين أن يكمل هذا الكتاب بطبع الجزء الثانى من « نزهة الخواطر » و هو الجزء

الذى يشتمل على تراجم أعيان القرن الثـامن ، فى الهند ، فكان ذلك ، و صدر الجزء الثانى - قبل أن يصدر الجزء الأول - فى سنة ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م ، ليملأ هذا الفراغ الواقع فى كتاب « الدرر الكامنة » و كان ذلك فى عهد إدارة الأستاذ السيد هاشم الندوى ، وتحت إشرافه ، وهكذا شق هذا الكتاب طريقه بقيمته العلمية ؛ وبغنائه ، من غير أن يكون لأحد منة عليه وعلى صاحبه ، و اطلع عالم العلم والتأليف على هذا الكنز المستور المطمور ، و من هنا طلب المستشرقون ، و المؤلفون أن ينشر هذا الكتاب برمته ، وكان الفضل الأكبر فى هذا للعلامة السيد مناظر أحسن الكيلانى ، فظهر الجزء الأول فى سنة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م ، و كان ذلك فى عهد إدارة الدكتور محمد نظام الدين ، و استمر صدور أجزائه إلى أن توقف بعد الجزء الخامس ، و اختلفت الأحوال فى الهند ، و كاد الأمل ينقطع فى صدور ما بقى من أجزاء هذا الكتاب ، و حدث بعد ذلك أن الشيخ حسين أحمد المدنى (١) كبير علماء الهند ، و الزعيم المشهور كان يبحث عن أخبار بعض أجداده و تراجمهم ، فلا يجدها فيما يتيسر له من كتاب مطبوع أو مخطوط ، فراجع هـذا الكتاب فوجد معظمها فى أجزائه ، فسر بذلك سروراً عظيماً ، و لفت نظر مولانا أبى الكلام آزاد (٢) وزير المعارف فى الجمهورية الهندية آنذاك ، و له معرفة شخصية بالمؤلف ، و تقدير لهذا الكتاب ؛ فأشار على دائرة المعارف باتمام الأجزاء الباقية ، فظهر الجزء السادس فى سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م ، و استمر إلى أن ظهر الجزء السابع فى سنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م ، و بقى الجزء الثامن وحده ،

(١-٢) إقرأ ترجمتها فى ج ٨ من « نزهة الخواطر »

و مضى على ذلك عشر سنوات .

و كان هذا الجزء الأخير فى حاجة إلى إكمال و زيادات كثيرة ، و كان المؤلف مشغولا بتسويده و تحريره ، ففاجأته المنيـة ، و لم يمهل لاكماله ، وكان هذا الجزء يشتمل على خمس مأة و تسع و خمسين ترجمة ، و يبلغ عدد التراجم التى خلف فيها المؤلف بياضاً أو فراغاً ، أو مات أصحاب التراجم بعد وفاة المؤلف ٣٥٠ ترجمة ، و قـد تدرج هؤلاء المترجمون فى مراتب من النبوغ و الشهرة ، و التأليف و الانتاج ، أو كان لهم نشاط و جولة فى الحقل السياسى ، و جدت فى البلاد أحوال ، ونشأت حركات ، و خاض هؤلاء الأعلام معتركها ، و تقلدوا قيادتها ، فكان لابد من إكمال هذه التراجم ، و تسجيل حوادث حياتهم ، و مآثرهم العلمية و العملية من جديد .

و كان الذين قد شغفوا بهذا الكتاب فى الهند و خارجها ، يطلبون إصدار هذا الجزء ، و كان الالحاح يتجدد منهم حيناً بعد حين ، و كان صديقنا الفاضل الدكتور عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية حالا يلح على بالتفرغ لهذا العمل ، ولا شئ أحب إلى من تحقيق هذا الغرض ، فان فيه خدمة للدين والعلم ، و للامة و البلد ، و فوق ذلك كله بر بالوالد و وفاء بحقه ، و أداء لأمانته ؛ و لكنى بقيت متهيباً لهذا العمل ، مستعظما له عدة سنين ، أولا : لأنه عمل شاق عسير تقصر عنه قواى و مواهبى ، فان تلقيح هذا الكتاب بالعبارات الجديدة والزيادات الحديثة صعب جداً ، و ذلك لايجاز المؤلف ، و دقتـه و عبارته المحكمة الرصينة التى لا يسهل تقليدها ، و الالتزامات التى التزمها فى تحرير الآراء و وصف المترجم ،

و مدحه و نقده ، و الاقتصاد فى ذلك ، وعدم إرسال القول على عواهنه .

و الثانى : أن هذا الجزء هو أكثر تنوعاً و اتساعاً فى التراجم من كل عصر مضى ، ففيه كبار العلماء و نوابغ المؤلفين ، و شيوخ أجلاء و مربون و أهل القلوب ، و معلمون كبار ، و أصحاب الدرس والتخريج ، و منهم : قادة الفكر الحديث ، و رواد حركات و نهضات ، يحتدم حولهم الجدال ، و يكثر عنهم القيل و القال ، و منهم : أدباء و شعراء ، و منهم : من خاض المعارك السياسية ، واكتوى بنارها و أوارها ، و امتزج تاريخه بتاريخ الهند الدينى و السياسى ، فلا يمكن الفصل بينهما ، و امتدت حوادث حياته على بساط طويل من الزمان ، مفروش بالأشواك ، و منهم : من جمع بين النبوغ و السراوة ، و تفنن فى الفضائل و الكمالات ، ومنهم من شذ عن السواد الأعظم من المسلمين ، و أسس مذهباً جديداً ، أو فرقة جديدة ، و استهدف للنقد العنيف ، و الجرح المرير ، إلى غير ذلك من نماذج الفكر و أساليب الحياة ، و أنماط الانسانية ، و لعل أصعب تاريخ هو تاريخ المعاصرين الذين يعاصرهم المؤلف ، و يرى آثار نبوغهم ونباهتهم فى الحياة ، و قد يبذل جهده ، و يجهد نفسه فى تصويرهم ، و تحديد مكانتهم ، و التنويه بشأنهم ، فيستقله كثير ممن عاشرهم و عرفهم عن كثب و يستهوله كثير ممن سمع عنهم ، أو خبرهم ، و اطلع على الخبايا ، و مواضع الضعف فى حياتهم ، و هكذا يستهدف المؤلف لنقد الفريقين ، فحينا ينسب إلى البخل و التفريط ؛ و حينا يتهم بالمبالغة و الاسراف ، و لكن كل ذلك لا يمنع رائد الحقيقة ، و مدون التاريخ من أن يقيد معلوماته للاجيال القادمة ، و يحفظ الملامح الحقيقية فى المصور التاريخى

العام الخالد .

أقدمت إلى هذا العمل الشاق المحرج ، متهيباً مدفوعاً فى البداية ، منشرحاً مندفعاً فى النهاية ، و بدأت أقرأ الكتاب ، و أسجل ما وقع بعد المؤلف فى حياة المترجم ، و أطواره و آثاره ، و مؤلفاته ، معتمداً فى ذلك على أثبت المراجع و أوثق المصادر ، و مما كتبه هو نفسه ، أو أخص أصحابه ، أو ما كان مشاهدة عيان ، ومعرفة شخصية ، و حرصت على أن يتميز كل ما أزيده ، و يصدر عن قلمى القاصر عما صدر عن قلم المؤلف نفسه ، و ما كان فى متن الكتاب ، فجعلت الزيادات و الملحقات كلها بين عمودين هكذا[ ] حتى لا يلتبس الأصل بالزيادة ، و بذلت مجهودى فى أن أكتب بقلم المؤلف ، و أطبق مقاييسه و موازينه فى الحكم على الشخصيات ، و نقدها و تقريظها ، و حاولت أن أعيش فى أدبه و أسلوبه و تفكيره ، زمن إكمال هذا الكتاب ، و أقلده بقدر ما يمكن لشخص ، أكثر من قراءة هذا الكتاب ، و تشرب أسلوبه وفكرته ، مع ذلك أقر بأنى لم أصل إلى النقطة التى وصل إليها المؤلف فى السداد و الاقتصاد ، و غزارة العبارة ، و قلة المبانى ، و كثرة المعانى ، و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

هذا ، و الزيادات كلها محدودة فى التراجم التى جاءت فى الكتاب ، و لم أضم تراجم جديدة إلى الكتاب ، و لم أكتب ترجمة جديدة لم يكتبها المؤلف ، فان الأمر كان يطول جداً ، و قائمة الشخصيات التى نبغت بعد المؤلف ، و استحقت التنويه و التسجيل أو فات المؤلف ذكرها ، كبيرة تبلغ إلى المئات ، وهو موضوع كتاب مستقل يكون ذيلا لكتاب « نزهة الخواطر » و لعل الله يقيض لذلك رجلا آخر يوفق للقيام به .

و بدأت أقيد سنى وفيات المترجمين ، فلا أجد إلى كثير منها سبيلا ،

فيها عندنا من المطبوعات والمراجع، فاضطررت إلى مراسلة من يتصل بهؤلاء المترجمين بسبب ، أو يلتقى بهم فى زمالة أو نسب ، و طالت المراسلات ، و تكررت الرسائل و الردود ، وقد جر ذلك فى بعض الأحيان إلى زيارة القبور ، و قراءة الألواح ، و الاتصال بأبناء المترجمين و أحفادهم ، و قد جر هذا البحث فى بعض الأحيان إلى مراجعة الأوراق و الوثائق فى البلدية ، لتحقيق اسم الوالد ، أو سنة ولادته ، فاجتمعت بذلك بمجموعة كبيرة من الوفيات و المعلومات ، و أسماء المؤلفات ، و لم يبق إلا نحو ١٣٠ شخصاً لم أهتد إلى سنى وفياتهم ، فأشرت إلى ذلك فى الهامش ، و أكبر ظنى أنه لو تأخر هذا البحث عن السنين والتواريخ ، والمعلومات عن المترجمين عدة سنين أخرى لضاع الشئ الكثير منها و تلف ، ولم يكن إليه سبيل لمن يأتى بعدنا ، و يحاول جمع هذه المعلومات ، و يؤلف كتباً فى تراجم هؤلاء الرجال ، و قد شاهدت فى ذلك تيسيراً لا أعلله إلا باخلاص المؤلف ، والاعانة الغيبية لحفظ آثار العلماء و المؤلفين الذين أفنوا قواهم ، و أجهدوا نفوسهم فى سبيل العلم أو الدين .

و فى الآخر إن كاتب هذه السطور مدين لأولئك الأفاضل الذين أعانوه بالمعلومات ، و بصفة خاصة فى التواريخ و سنى الوفيات ، و لم يضنوا بما عندهم من علم ، و وثائق تاريخية ، و مراجع علمية ، و لو لا أن قائمة أسماء هؤلاء الفضلاء تطول طولا مملا لسردت أسماءهم ، و لهم اعتراف الكاتب ، وشكر القراء ، وما عند الله من المثوبة و الجزاء أفضل من كل هذا والله لا يضيع أجر المحسنين .

و بهذا الجزء الثامن الأخير تكمل سلسلة « نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر » للعلامة السيد عبد الحى الحسنى ، و الحمد لله الذى بعزته و جلاله تتم الصالحات .

الأستاذ أبو بكر الحسنى
المدرس بالمعهد الهندى للدراسات الدولية ، دهلى

المسعودى — المؤرخ الكبير ، حياته و إنتاجه

مولده :

اختلف الباحثون فى مولده ، متى ولد و أين ولد ، إذ لا تشير المصادر إلى ما يعين سنة ولادته أو مكان ولادته بالضبط ،

فأما عن مكان ولادته ، فيقول ابن النديم صاحب الفهرست « إنه من أهل المغرب » و لكن الذهبى ، و ياقوت الرومى و ابن شاكر ، فانهم لا يقبلون ذلك ، و هم يرون أنه كان من من مواليد بغداد .

و يقول المسعودى نفسه فى كتابه « مروج الذهب و معادن الجوهر » و أوسط الأقاليم ، الاقليم الذى ولدنا به ، و إن كانت الأيام أنأت بيننا و بينه ، و ساحقت مسافتنا عنه ، و ولدت فى قلوبنا الحنين إليه إذ كان وطننا و مسقطنا ، و هو إقليم بابل ، و قد كان هذا الاقليم عند ملوك الفرس جليلا و قدره عظيماً » .

و أما عن سنة ولادته فلا يعرف عنها ، وليس هذا بعجيب ، فان الناس لا يهتمون عامة بشئ إلا إذا ظهرت أهميته و منزلته ، فانه لم يكن يتصور فى ذلك الوقت أحد أن المسعودى سيصبح شخصية تاريخية فذة .

على أى حال ، فان وفاته وقعت فى عام ٣٤٦ للهجرة كما تشهد

بذلك المصادر الموثوق بها .

حب المسعودى فى الأسفار .

كان حب الاستطلاع فيـــه كثيراً ، فأحب أن يقوم بجولات فى ربوع آسيا و أفريقيا ، و بغية هذا الطلب سافر إلى مدن كبيرة وصغيرة ، فزار اصطخر فى فارس سنة ٣٠٥ ، و سافر بعد ذلك إلى الهند وسيلان والصين و مدغشقر ، و زنجبار ، و عمان ، و بحر قزوين ، ثم انتقل إلى طبريا و فلسطين و انطاكية ، و استغرقت هذه الزيارات مدة سنتين ، زار خلالهـــا بعض المدن الأخرى مثل البصرة ، ثم توجه فى عام ٣٣٤ إلى دمشق ، و أقام فيها لبعض الوقت ، و انتقل بعد ذلك إلى مصر ، حيث توفى سنة ٣٤٦ للهجرة .

و ما من شك فى أن جميع أسفاره كانت لا يقصد بها إلا تحقيق أمانيه العلمية ، و قد أتاحت هذه الأسفار له فرصة لمعرفة أحوال البلاد و سكانها ، و عاداتهم و لغاتهم و تقاليـــدهم ، فجمع الحقائق الجغرافية و التاريخية و السياسية للبلدان التى زارها أثناء مدة سفره ، و دونهـا فى مؤلفاته .

و قد تناول المسعودى فى مؤلفاته عدداً من الموضوعات بالبحث ، فمثلا يقول هو نفسه فى كتابه « مروج الذهب و معادن الجوهر ـ » : أما بعد ، إننا صنفنا كتابنا فى أخبار الزمان ، و قدمنا القول فيه فى هيئة الأرض و مدنها و عجائبها و بحارها و أغوارها ، و جبالها ، و أنهارهـا ، و بدائع معادنها . . . . ثم اتبعنا ذلك بأخبار الملوك الغابرة ، و الأمم الدائرة . . . ثم اتبعناه بكتابنا الأوسط فى الأخبار على التاريخ ، و من

درج فى السنين الماضية . . . و نعتذر عن تقصير إن كان ، و تنصل من إغفال ، أو عرض لما قد شاب خواطرنا وغمر قلوبنا من تقاذف الأسفار و قطع القفـار ، تارة على متن البحر و تارة على ظهر البر ، مستعملين بدائع الأمم بالمشاهدة ؛ عارفين خواص الأقاليم بالمعاينة ، فتـارة بأقصى خراسان ، و تارة بأواسط أرمينيا و أذربيجان ، و طوراً بالعراق و طوراً بالشام . . . . و فاوضنا أصناف الملوك على تغاير أخلاقهم و تباين هممهم و تباين دارهم »

الواقع أن مؤلفـاته تحتوى على معلومات متعددة متنوعـــة ، فيها معلومات عن الأمور الاجتماعية و الدينية و العلميـة ، و هو يستقصى أدق أخبار الملوك و الخلفاء ، و يذكر كل ما يحدث فى بيوتهم و مجالسهم و ما يجرى فى محـافلهم من جد و هزل ، و من عاداتهم فى المأكل و المشرب و الملبس ، و من معتقدات دينية و الكهانة و العرافة و ما إلى ذلك .

المؤلفات :

و قد ألف المسعودى عدداً من المؤلفات ، منهـا : مروج الذهب و معادن الجوهر ؛ و « أخبار الزمان و من أباده الحدثان » ، و « التنبيه و الاشراف » ، « أخبار الخوارج » ، « أخبار الأمم من العرب والعجم » « المقالات فى أصول الديانات » ، « المسائل و العلل فى المذاهب والملل » و غيرها من الكتب الأخرى .

و لكن أوسع مؤلفاته « أخبار الزمان ومن أباده الحدثان ، فى التاريخ و الجغرافيا ، ألف هذا الكتاب فى عام ٩٤٣م فى ثلاثين مجلداً ،

و قيل إنه قد ضاعت أجزاء هذا الكتاب كلها ، و لم يبق منها إلا مجلد واحد .

و قد بحث المسعودى فى هذا الكتاب عن تاريخ العالم و جغرافية بلاد غير المسلمين ، فاذا رغب أحد من الدارسين أو الباحثين فى معرفة تواريخ الأمم القديمة من فرس و سرهان و يونان و رومان و عرب قدماء ، و مذاهبهم ، و التقاويم القديمة ؛ أو فيما يختص بتاريخ العرب منذ قيام الرسالة الاسلامية حتى خلافة الخليفة العباسى المطيع لله ، لابد له أن يراجع كتابه « مروج الذهب » و إذا اهتم دارس لمعرفة الأفلاك وهيئاتها و النجوم وتأثيراتها و تركيبها وأقسام الأزمنة و الفصول السنوية ومنازلها و الرياح ، و الأرض و شكلها و مسافتها ؛ عليه أن يطالع كتاب « التنبيه و الاشراف » .

و قد لفتت مؤلفات المسعودى أنظار المهتمين بتاريخ العرب و الاسلام ، فاعتنى بها المؤرخون و الجغرافيون من عرب و عجم ، وعلقوا لها أهمية كبرى حتى حرص بعض المستشرقين على ترجمة بعض مؤلفاته إلى اللغات الأجنبية كى يعرف العالم الغير العربى أحوال العرب ، وعاداتهم و تقاليدهم و طقوس بلادهم و مواسمهم ، فنقل المستشرق باربيه دو مينار (Barbeir de Menard) مروج الذهب ، إلى اللغة الفرنسية ، وطبع فى باريس فى تسعة مجلدات ، و نقله إلى اللغة الانجليزية الاستاذ سبرنجر (Springer) و طبع الجزء الأول منه فى لندن سنة ١٨٤١ .

كذلك ، نقل ذوخويه (De-Gofe) كتاب التنبيه و الاشراف ، وكارا دوفو (Carra de Vouk) إلى اللغة الفرنسية ، و كل ذلك

يدل على تقدير المهتمين بآثار المؤلف الكبير ، و حرصهم على الافادة منها على أن بعض الناقدين يتهمون المؤلف الموسوعى بسطحيته فى كتاباته لقبوله الخرافات و الأساطير ، و ذكرها فيها دون تمحيص أو نقد ، و لكن هذه الحجة لا تقوم بأى دليل معقول مقنع و مفيد .

صحيح أنه لم ينظر إلى كل شئ بعين فاحصة ، ناقدة ، بل سرد فى كتبه كل ما مر به أو شاهده ، و لكن هذا ليس بشئ يدفعنا إلى بطلان جميع الحقائق ، مهما يكن من أمر فان المسعودى جمع لنا ذخيرة ممتعة نافعة ، لا يمكن لأحد منا أن يتغاضى عنها ، كما أنه يلقن درساً لكل شخص يشكو ضيق الوقت .

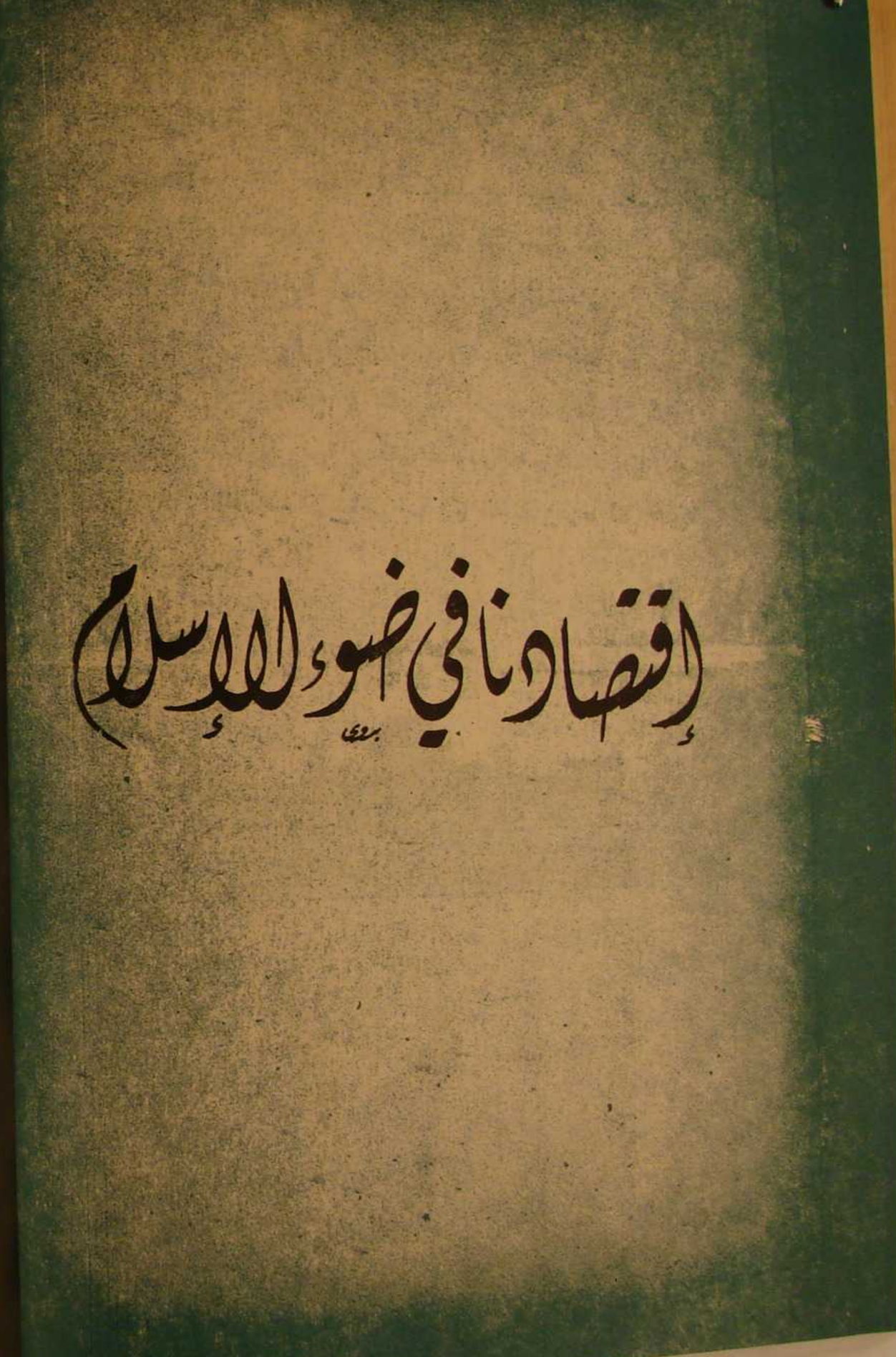

الأستاذ مسعود الندوى ——— تعريب : صهيب حسن السلفى

تاريخ الاشتراكية الماركسية

(ا) قبل ثورة روسيا .

لابد من نظرة و لو عابرة على تاريخ الاشتراكية الماركسية قبل الاسترسال فى الاشتراكية و الدين ، حتى تظهر لنا الأحداث التاريخية مع العلم بفلسفة الاشتراكية .

كان لماركس و صديقه الحميم انجلز صلة قوية بالجمعيات الاشتراكية العاملة وراء الستار منذ زمن غير قصير كما كان لهما أثر بالغ عليها إلى أن ظهر الميثاق الشيوعى (١) Communist Manifesto المؤلف بيد ماركس سنة ١٨٤٨ م و هو يعد المرجع الوحيد و المنهاج الفريد لجميع الشيوعيين إلى يومنا هذا .

توطن ماركس سنة ١٨٤٩ م مدينة لندن نهائياً ، ولم يزل يدعو من هناك جميع اشتراكى العالم إلى القيام بالعمل الجدى إلى أن ظهرت فى حيز الوجود الجمعية الدولية للعمال سنة ١٨٦٤ م و هى معروفة باسم « الدولى الأول » (First international) فى أوساط الاشتراكيين ، وقد قدر لها البقاء اثنتى عشرة سنة تأسست خلالها عدة فروع لها فى بلاد عديدة و كانت همزة وصل بين عمال العالم إلى أن جنت عليها أصابعها بأنفسهم

فقضى عليها نهائياً سنة ١٨٧٦ م ، و كان ماركس ساهم مساهمـــة فعالة فى نشاط «الدولى الأول » حتى مماته سنة ١٨٨٣ م حيث خلفه انجلز ، فصار مرجعاً للجمعية .

تأسست الجمعية الدولية الثانية المعروفة بالدولى الثانى (Second International) سنة ١٨٨٩ م ، و لم تكن ذات قوة و سلطة ، مثل سالفها ، و لم يكن لها أى نفوذ قوى فى فروعه المختلفة ، فكانت اسماً بلا مسمى جاهدت لبقائها إلى أن قامت الحرب العالميـــة الأولى التى شاهدت كثيراً من اشتراكى العالم ينحرفون عن مبادئهم (٢) فمنهم من قبل الوزارة فى الحكومات القومية ، و منهم من خاض الحرب بصدر رحب كممثل لحكومة قومية فتلاشت بذلك الجبهة الدولية للعمال مؤقتاً .

هذا ما كان عن الاشتراكية و هى تخوض ميدان العمل ! !

و أما ما يتعلق بالتفسير العلمى للاشتراكية فيعد كارل كاتسكى (Karl Kaatsky) أكبر شارح لها بعد انجلز (المتوفى سنة ١٨٩٥ م) إلى قيام الحرب العالمية .

و قد أصبحت روسيا مركزاً للحركة الجديدة بعد الثورة ، وأقيمت فيها سنة ١٩١٩ م الجمعية الدولية الثالثة المعروفة «بالدولى الشيوعى » أيضاً و كانت محطة أنظار جميع الشيوعيين فى مشارق الأرض و مغاربها حتى قبل عدة شهور ، و لم يزل هناك عديد من الشيوعيين فى العالم الذين يحسبون أنفسهم على الجادة التى رسمها لهم ماركس و هم ما زالوا يخالفون الدولى الثالث ، و لا يزالون يخالفونها فى كثير من الآراء ، و تعد من بينهم « الجمعية الاشتمالية » فى الهند و هى تعتقد أن شيوعى روسيا قد

انحرفوا عن تعاليم ماركس و نتيجة للخلاف مع الدولى الثالث ظهرت فى الوجود معا دوليات ثلاث و إليك بيانها .

١- الجناح الايمن أو الطبقة المتصالحة إلى حد بعيد مع الدولى الثانى .

٢ - المركز و هو الاتحاد الدولى للجمعيـــات الاشتراكيـــة (International Union of Socialist Parties) .

٣ - الجنـــاح الأيسر أو الدولى الشيوعى بموسكو و هو شهير بشدته و قسوته و يعرف باسمه المختصر « الكومنترون » (Cominterin) .

(ب) الثورة الروسية و ما بعدها .

تعرف الشيوعية أ الاشتراكية الماركسية بالبلشفية(Bolshcvism أيضاً و قد عرفت بها أول ما عرفت فى روسيا و الاشتراكية الروسية ، هى أول جهد لتطبيق تعاليم ماركس عملياً و قد آتت ثمارها بعد ثورة روسيا سنة ١٩١٧ م و إن كانت تمهد لنفسها الطريق منذ أمد بعيد و قد تم نقل مؤلف ماركس المعروف بـ« رأس المال » إلى اللغة الروسية سنة ١٨٧٢م وقد فتح المجال أمام كتاب روسيا للتفكير فى إسعاد العمال وطرق فلاحهم إلى أن ألفت الجمعية الاشتراكية الجمهورية (Social Democratic Party) سنة ١٨٩٨ م وكانت تحوم إلى حول إقامة نظام اشتراكى بعد القضاء على ملوكية زار الغاشمة و قد شهدت جلسات الجمعيـــة فى برسلز خلافاً حاداً بين أعضائها بخصوص منهجها للعمل مما أدى إلى انقسامها إلى فريقين، فريق يتحاشى فكرة الثورات الدامية وسمى بالمنشويك (Menshevic) أى الأقلية . لقلة أعضائهـا بالنسبة للفريق الثـــانى الذى سمى بالفلشفيك (Bolshevic) أى الأكثرية و كان يرى عكس مايراه الفريق الأول

وقد انضم أكثر شيوعى روسيا إلى الفريق الثانى الذى تسلم زمام الحكومة بعد ثورة روسيا فى شهر أكتوبر سنة ١٩١٧ م وقد تزعمه لينين من بداية أمره إلى أن توفاه الله ، و قد ظهرت شخصية تراتسكى كمساعد زعيمه بعد الثورة ، و لم يزل يعد أقوى شخصية بعد لينين حتى سنة ١٩٢٤ م و قد استطاع استالين أن يسيطر على الجمعية بعد وفاة لينين فكان هو الرئيس الدكتاتور لحكومة روسيا .

و لا نريد أن نتحدث عن ثورة روسيا فى هذه العجالة و ما أريق فى طريقها من دماء لآلاف الأبرياء و لكنه لا يسعنا إلا أن نقول بأن شيوعى روسيا لم ينحرفوا عن تعاليم ماركس الاقتصادية فحسب بل تجاوزوا عن تعاليمه بخصوص العنف و التشديد أيضاً فلا يهمهم طول حياتهم إلا إعمال القسوة و العناد ضد الرأسماليين و ضد النظام المتبع لديهم . (أنظر Coker صفحة ١٢٤) .

و لا ريب أن الشيوعية — حسب تعاليم ماركس — لا تمكن أن تجامل أى نظرية اجتماعية كما أنها تحرص العمال على كسب قوة تكفى لابادة النظام الرأسمالى من أصله إبادة تامة .

و قد أخطأ الدولى الثالث — أو شيوعى روسيا — إذ أصر على فكرة التشديد أكثر من إصراره على إحداث ثورة اقتصادية ، وقد لوحظ أن حكام روسيا الجدد اضطروا إلى أن يجاملوا الرأسماليين من حين لآخر كما أنه لا شك أن الدولى الثالث الذى أقيم بجهود شيوعى روسيا سنة ١٩١٩ م قد انحرف عن تعاليم ماركس انحرافاً ملموساً ، وهو و إن كان يمثل عمال العالم بأجمعهم قد تأثر بالجمعية الشيوعية الروسية إلى أن فقد

كيانه كجماعة مستقلة (٣) و لهذا لم تتأثر السياسة العالمية ولا السياسة الروسية بحل الدولى الثالث أيما تأثر ، فكأنما اعترف بحله رسمياً بعد ما كان معطلا عملياً منذ زمان .

سبق أن قلنا آنفاً أن حكام روسيا الشيوعيين اضطروا إلى أن يمنحوا رخصاً عديدة لكثير من الفلاحين و أصحاب رؤوس الأموال مما وسع الخلاف بين الحكام و بين عديد من أعضاء نشاط للجمعية ذاقوا أخيراً ألواناً من العذاب نتيجة لهذا الخلاف ، و قد تحامل عليهم هؤلاء الحكام — دعاة الفكر الحر — الذين لا يجيزون حرية الفكر لغيرهم فى حال من الأحوال ، و كان تراتسكى — الزعيم الأكبر بعد لينين — ممن وقعوا فريسة أمام أسياده إذ كان يخالفهم فى إعطاء أى رخص للفلاحين الكبار وكان من رأيه أن يشاركوا فى المزارع الجماعية أسوة بغيرهم من الفلاحين .

وقد انتقد تراتسكى سياسة ستالين التى بدأت تتركز على القومية (٤) تاركة وراءها صفتها الدولية ، وكان يرى أنه لابد من الدعاية الثورية فى البلاد الأخرى ما دامت الجمعية الشيوعية تريد الاستمرار على مبادئها الأساسية ، و لم يكن تراتسكى فى آرائه هذه منحرفاً قيد شعرة عن تعاليم ماركس و أهداف الشيوعية ، و لكن آراءه لم تحظ بالقبول عند استالين و حواريه فأبعد أولا عن اللجنة السامية للجمعية ثم أجلى عن الوطن سنة ١٩٢٨ م إلى أن مات أخيراً فى منفاه و لا يمكننا أن نحيط بالعدد الهائل الذى أصبح ضحية لأجل هذه الخلافات بين مصلوب على المشانق و آخر منفى أو معذب فى زمهرير سيبيريا (٥) .

أنظر حواشى المقال على الصفحة التالية :

(١) وكانت تسمية الاشتراكية (Socialist) غالبة عليهم قبل ١٨٤٨ م إلى أن اختاروا كلمة الشيوعية (Communism) كما رواه انجلز ، حتى يميزوها بالاشتراكية السائدة آنذاك .

(٢) هذا يويد ماقلناه سابقاً عند الحديث عن صراع الطبقات بأن العمال أنفسهم يؤثرون المصالح القومية على المصالح الطبقية أحياناً كما شوهد بوضوح خلال الحرب العالمية السابقة حيث كان الشيوعيون فى جميع البلاد مع حكوماتهم القومية مضحين بالأنفس و المـال فى سبيل الاستعمار و حروبه .

(٣) كان الدولى الثالث (الكامنترون) حركة فعالة قوية طيلة حياة لينين (١٩٢٤ م) وكان يرجع إليه دائماً عند تخطيط السياسة الروسية ، و كان بحق جماعة دولية حيث ينتمى إليه الشيوعيون من جميع بقاع العالم ، وإن الأكثرية فيه لشيوعى روسيا ، وعند ما جاء لينين بخطة قومية جديدة بدأ الكومنترون يفقد قوته إلى أن قضى عليه نهائيـاً .

(٤) إن الحركة التى قام بها ستالين و جماعتـه قبل أكثر من عشر سنوات تجاه القومية قـد نضجت الآن و اكتملت و لم تحظ بالقبول من قبل كثير من الاشتراكيين و ها هو السيد م - ر - مسانى السكرتير للجمعية الاشتراكية الهندية سابقاً يخاطب الجماهير فى مدارس فى يناير ١٩٤٤ م عن الأحوال المتقلبة فى روسيا فيقول :

« ما قاله ستالين بخصوص بولندا بأنها مسألة داخلية لروسيا لا يحق لأمريكا التدخل فيها ، لا يعدو قول البريطانيين عن الهند ، بأنها مسألة

داخلية لهم » .

و قد صرح السيد مسانى حيث قال : « لا تزال روسيا تنحرف عن جادة الاشتراكيـة يوماً فيوماً » (عن أمرت بازار بتريكا ١٦ يناير ١٩٤٤ م) .

(٥) قد كشف السيد لوئى فيشر (Luic Fisher) أحد مشاهير الكتاب فى أمريكا النقـاب عن هذه المظـالم فى كتابه (Man and Politics) و قد طبع منه فصلان باسم « روسيا فى عهد لينين و ستالين » ككتيب مستقل حديثاً » .

في رياض الشعر والأدب

الكتابة العربية قبل النهضة و بعدها

الأستاذ محمد الرابع الندوى

رئيس قسم الادب العربى بدار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

قبل النهضة :

دام أسلوب القاضى الفاضل المتوفى عام ٥٩٦هـ هو الأسلوب السائد المفضل لدى الكتاب و المترسلين فى القرون الأخيرة إلى بداية العصر الحديث فى جميع أقطار الاسلام ، حتى إن الموضوعات الأخرى غير الأدبية أيضاً لم تنج من سيطرته إلا قليلا ، وكان المثل الأعلى فى هذا الأسلوب عند هواة الأدب العربى و محترفيه كتاب المقامات للحريرى ، ما زالوا يحرصون دائماً على اتباعه و تقليده و يحوطونه بهالة من التقدير .

و ركد هذا الأسلوب لطول بقائه و امتداد مواظبة الناس عليه ركوداً أذهب عنه بهاءه و رواءه ، و فسد و تعفن أيضاً فى بعض الكتاب و ظهر أثره فى القرائح و الأذواق أيضاً .

غير أن الكتابة العربية لم تخل من أناس استطاعوا أن ينحوا عن هذا الأسلوب ، ويختاروا أسلوباً أوفق لغرضهم و حاجتهم مثل ابن خلدون — كما قدمنا — فى الأقطار العربية ، و مثل الشيخ أحمد بن عبد الرحيم ولى الله الدهلوى فى الهند الاسلامية قبل النهضة بقليل ، فقد أتى كتابه حجة الله البالغة فى أسلوب واقعى نابض بالحيوية و القوة و الفصاحة .

النهضة و أثرها على النثر :

ابتدأت النهضة الحديثة فى العالم العربى منذ احتكاك أوربا الراقية

المتقدمة فى ميادين السياسة و القوة والعلم بثقافاتها وعلومها وآدابها بالشرق و خاصة بالشرق العربى فى أواخر القرن الماضى ، و أثر ذلك على الشرق العربى، فبدأ يتنبه على نقصه و تخلفه فى الحياة و الأدب و العلم ، وحفزه الشعور بضعفه إلى الخروج من تخلفه ، وجموده وإلى إعادة نفسه إلى ماضيه العظيم ، فنشط هواة العلم و بدأوا يرجعون إلى منابع ثروتهم الثقافية العظيمة ينهلون من مناهلها ويفدون أيضاً إلى الغرب الراقى يستفيدون من ثرواتها النافعة ، و يتعلمون منه الحيوية و الجدية و الجهد ، وكان الأدب إلى ذلك الوقت بعيداً عن الحياة الواقعية ، فأثرت دراستهم للغرب و حياته الأدبية أن ظهرت فيهم أيضاً فكرة إخضاع الأدب العربى للحياة المتطورة الجديدة و التوفيق بينه و بين مقتضياتها الراهنة ، فبدأ يزول عن الكتابة التكلف والغلو فى البديع ، و تدخل فيها المطابقة و الواقعية ، ونشأ فى الكتابة العربية لأول مرة فى تاريخها نوع راق قوى من قسم المقالة و قسم القصة و الرواية وفقاً للتيارات الأدبية و الثقافية الجديدة .

نبغاء الكتابة .

لقد تفوق فى الكتابة رجال كثيرون نذكر منهم على سبيل المثال الشيخ مصطفى لطفى المنفلوطى الذى كتب فى أسلوب ، سهل العبارة ، عذب اللفظ ، حسن الغرض ، و يمثل أسلوبه بوجه خاص بمجموع مقالاته « النظرات » .

و الأستاذ الأمير شكيب أرسلان الذى كتب فى أسلوب فصيح جمع بين محافظة القديم و سهولة الجديد ، و يمثل أسلوبه بوجه خاص حواشيه على كتاب « حاضر العالم الاسلامى » .

والأستاذ مصطفى صادق الرافعى ، وقد اتبع أسلوبا كان من خصائصه التعمق فى الفكر ، و غزارة فى المعنى مع فصاحة اللفظ و إشراق الديباجة ، و امتاز ببراعة الاستعارة ، و يمثل أسلوبه و شخصيته الأدبية بمجموع مقالاته

المسمى بوحى القلم .

و الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ، و قد امتاز بدقة الوصف ، و سلاسة العبارة و سهولتها ، و له أقاصيص و مقالات .

والأستاذ عباس محمود العقاد ، فانه اختار طريقة واقعية جادة تضارع فى السهولة والمطابقة طريق ابن المقفع ، و يمثل أسلوبه بمجموع مقالاته المسمى « بين الأدب و الناس » .

و الأستاذ الدكتور طه حسين الذى اقتبس من طريقة الجاحظ ، تنويعه بحروف الجر و استطراده ، و أخذ من غيره بحسن العبارة مع سهولة و إطناب زائدين ، كما أن طريقته لم تخل من خضوع للاسلوب الأوربى الحديث خضوعاً ملموساً ، و يمثل أسلوبه من كتبه « مستقبل الثقافة فى مصر » و « الأيام » و « شجرة البؤس » وقد ظهر فى الأخيرين فى لباس الأديب القصصى ، و كتابه « حديث الأربعاء » و قد ظهر فيه كمؤرخ أديب ناقد .

و عاصره الدكتور أحمد أمين ، و اختار لنفسه أسلوباً طبيعياً بناه على الواقعية و السهولة و المطابقة ، و العذوبة ، و يمثل أسلوبه كتابه « زعماء الاصلاح » و كتابه « حياتى » الذى هو خير نموذج لكتاباته الطبيعية السهلة و « فيض الخاطر » ، و هو بمجموع مقالاته و خواطره .

و ظهر فى الشام الأستاذ محمد كرد على ، و كانت طريقته أدبية رزينة ، يغلب عليها اللون الجدى الواقعى مع عذوبة لطيفة ، و يمثل طريقته كتابه بين « الجديد و القديم » بوجه خاص .

و نبغ فى مصر الأستاذ أحمد حسن الزيات ، و التزم طريقة الصاحب بن عباد فى الكتابة ، و وافق لون كتابته لون أبى منصور الثعالبى صاحب كتاب يتيمة الدهر ، و يكفى للاطلاع على طريقة كتابته مطالعة مجموع مقالاته فى الرسالة .

حان الرحيل فبادر بالرجوع إلى . . .

فضيلة الشيخ محمد سراج الحق ، إله آباد

(قالتها فى غواية نفسى وشرها و توجيهها إلى ربها وبرها و أشياخ قوموها فى عمرها)

غرت علانيتى صحبى و جيرانى ... و الله يعلم إسرارى و إعلانى
يالينتى كنت فيهم مثل ماحسبوا ... أو ليتهم حسبونى مثل وجدانى
عصيت ـ بما قضى ربى ـ أوامره ... أطعت فيها مضى نفسى وشيطانى
سألت ربى عفواً ما عزمت له ... و القلب يخجل من هذا و إيمانى

★★★★

فساقنى فضل ربى نحو «تانه بهون» ... ففيه شيخ شيوخ صدر أعيان
حكيم أمة فخر الرسل مرشدها ... مقدام أهل الهدى مصباح عرفان
مجدد علم محدث جلل ... مفسر شرح الآى بتبيان
بالعلم عالجنى بالحلم عاتبنى ... بالدين ناصحنى بالرشد واسانى
لما رأى كسلى فى اتخاذ سبيل الرشد ألحقنى بالمرشد الثانى

★★★★

و إنها عثرات النفس تقطع من ... أنفاس هاد و من ألطاف رحمان
رسالة حضرت من كامل علم ... شيخ تقى خفى واصل فانى
فيها السلام و رحم الله بركته ... و اسئل لى الخير من نفحات ديان
فقلت للقلب يابشرى ! فذلك ما ... تبغى أتاك به تقدير رحمان
اين الخطاب لعبد آبق !! عجباً ! ... لعله جذبة من لطف حنان
شددت رحلى لنرجاتال ثم حضر ... ت عند شيخ صموت فخر أقران
هو الجنيد و شبلى العصر منقبة ... أبو يزيد علوماً ندر أزمان

صدر بمجلس أهل الزهد والورع ... بدر على فلك العلم و عرفان
فرد لجيش طواغيت الهوى قرم ... برد لعيش معاديم الغنى عانى
فى القول والحال والأعمال متبع ... لهدى خير الورى مختار ألوان
لله أخلص أصباحاً ـ فمن فمه ... جرت ينابيع علم مثل لقمان
حقاً يذكرنا الرحمن رؤيته ... و زادنا نطقه علماً ببرهان
علياء همته ثقباء فكرته ... غراء جبهته من نور إحسان

★★★★

دين دراسته خلق غراسته ... نور فراسته فى الخلق ربانى
نعوا إلى وصى الله مرشدنا ... قلبى هوى و علا سيل بأجفانى
فهاجر الهند أرض المشركين مها ... جراً إلى الله بالصدق وإحسان
أقام ضيفاً بقعر البحر معتكفاً ... ملبياً دعوة الروح و ريحان
أقول قولى ـ وقد حار الأنام به ... لا تسنا يوم ينسى الولد أبوان
رشداً ـ سراج ! حماك الله عن زلل ... دع الهوى ـ فهو شعب فيك شيطان
كيف الرشاد ! وقد أحسنت ظنك بالنفس وما فيك من عزم وهيمان
ذر النفاق بصدق القلب مجتهداً ... والعجب فاترك فموت فيه روحانى
مقصودك الخلق تبغى أنهم مدحوا ... وأنهم أرفدوا ـ يا شر خسران
شكوت قسمة رزاق إذا يسرت ... و قلت إن كثرت «هذا بأفتانى»
هلا شكرت على السراء تحمده ... هلا توكلت فى الضرا بكتمان
الله آتاك كنزاً ـ اسمه عمر ... فلا تضيعه فى لهو و بطلان
حان الرحيل فبادر بالرجوع إلى ... مولاك ثم استعذ من حر نيران
فما لعينك إن قلت اهملى ـ جمدت ... و ما لقلبك إن قلت استلن ران
يا رب ! هب لى قلباً نادماً قلقاً ... على ضياع حياتى حزن لهفان
أبغى أكفر ما فيه انتضى أجلى ... فأتنى أعيناً يسقين أجفانى
و لا تكلنى إلى نفسى فتهلكنى ... واحسنى بفضلك (يارحمن) شيطانى
و أرضنى بقضاء كنت قاضيه ... أفز برؤيتك الحسنى و رضوان

ربانيون

سعيد الأعظمى الندوى

الامام ابو زكريا يحيى النووى

جمع الله فى هذا الرجل جوانب متعددة من العلم و الورع والجهار بالحق ، و من الشجاعة الدينية ما قل نظيره فى ذلك العصر الذى عاش فيه الامام النووى ، إن حياته حازت نواحى الفضيلة كلها ، و إن همته العالية لم ترض بالاقتناع بجانب من جوانب الاشراق و الاشعاع ، وإنما سمت إلى آفاق بعيدة ، فحظيت بالتوفيق و الطموح ، و وسعت أنواعاً كثيرة من العلم ، كان له فى كل نوع نظر ثاقب ، و رأى سديد ، و تفكير عميق .

لم يعرفه الناس - بوجه عام - إلا أحد المحدثين غير أنه جمع بين الحديث و الفقه و التفسير ، و أصول الفقه و النحو و اللغة ، و أسماء الرجال و التاريخ ، و أتقن كل فن و أجاده حتى تمكن من التأليف فى أكثر ألوان العلم ، وقد رزقه الله بصيرة نافذة فى مهمات الدين والأحكام فكان يدرس القضايا و المسائل و يشرحها بما يزيل كل غموض و خفاء ، كما وفقه الله سبحانه إلى إصلاح أحوال الناس و تربية الباطن ، و تزكية النفوس ، و تقريبها إلى الله تعالى .

ولد الامام النووى بقرية « نوى » من أعمال دمشق سنة ٦٣١ هـ ، حيث نشأ و حفظ القرآن الكريم ، وكان يكره اللعب من صغره و يهرب

من الأولاد الذين كانوا يكرهونه على اللعب و يبكى ، وكان لوالده دكان فجعله فيه ، و لكنه كان لا يشتغل بالبيع و الشراء ، بل يقرأ القرآن و يحفظه ، و لما تقدمت به السن قليلا و ناهز الحلم ارتأى لوالده أن يبعثه لطلب العلم إلى أحد المراكز العلمية القريبة ، فاختار لذلك دمشق التى كانت تعتبر مركزاً كبيراً للعلم و العلماء فى ذلك الحين ، و كانت محط طلاب العلم و الدين الذين كانوا يتوافدون عليها من أنحاء بعيدة و بلدان نائية ؛ يتحدث لنا الامام النووى قصة رحلته الاولى إلى دمشق فيقول :

« فلما كان عمرى تسع عشرة سنة قدم بى والدى فى سنة تسع و أربعين و ست مأة إلى دمشق ، فسكنت المدرسة الرواحية ، و بقيت نحو سنتين لا أضع جنبى بالأرض ، و أتقوت بجراية المدرسة لا غير ، و حفظت «التنبيه» فى نحو أربعة أشهر و نصف ، ثم حفظت ربع العبادات من « المهذب » فى باقى السنة ، و جعلت أشرح و أصحح على شيخنا الكمال اسحاق المغربى ، و لازمته فأعجب بى لما رأى من ملازمتى للاشتغال ، و عدم اختلاطى بالناس ، و أحبنى محبة شديدة ، و جعلنى معيد الدرس بحلقته لأكثر الجماعة » .

و قد لازم كبار العلماء و الشيوخ فى عصره و استفاد منهم ، و قرأ عليهم و أخذ عنهم فى كل موضوع ؛ و لم يترك علماً من العلوم إلا وقد تصدى لقرأته ، حتى إنه قرر ذات مرة — و قد سنح له بعض الوقت و أراد أن يشغله بدراسة شئ من العلوم الدنيوية — أن يشتغل بعلم الطب لبعض الوقت ، و لكنه لم يرقه ذلك و تخلى عنه .

و تخرج على يده جماعة كبيرة من العلماء و الشيوخ الذين عرفهم

التاريخ و سجل أسماءهم بحروف بارزة ، منهم علاء الدين بن العطار ، وأبو العباس أحمد بن ابراهيم بن مصعب ، وأبو العباس أحمد بن فرج الأشبيلى و أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد المقدسى ، و أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزى ، إلى غير ذلك من أعلام العلم و الدين الذين اشتغلوا بنشر علوم الكتاب و السنة ، و شرح أسرار الدين و قضاياه ؛ عن طريق التدريس و التأليف و التربية .

أكرمه الله بالورع و التقوى و القناعة ، فكان نسيج وحده فى هذه الناحية، كان لا يبالى بجلف الخبز ، وصفيق الملابس ، و بلغة من العيش تسد حاجة العطش و الجوع ، قال الذهبى و هو يحكى ذلك :

« كان عديم الميرة و الرفاهية والتنعم مع التقوى و القناعة والورع، و المراقبة لله تعالى فى السر و العلانية ، و ترك رعونات النفس من ثياب حسنة ، و مأكل طيب ، و تجمل فى هيئة ، بل طعامه جلف الخبز بأيسر أدام ، و لباسه ثوب خام ، و سخنانية لطيفة » .

يقول الشيخ علاء الدين العطار ، تلميذه الوفى : إنه كان لا يأكل من فاكهة دمشق فسألته عن ذلك فقال : إنها كثيرة الأوقاف والأملاك لمن تحت الحجر شرعاً ، ولا يجوز التصرف فى ذلك إلا على وجه الغبطة والمصلحة و المعاملة فيها على وجه المساقاة ـ و فيها اختلاف بين العلماء ـ و من جوزها قال بشرط المصلحة والغبطة لليتيم و المحجور عليه ، والناس لا يفعلونها إلا على جزء من ألف جزء من الثمرة للمالك ، فكيف تطيب نفسى ؟ .

إن دل هذا الكلام على شئ فانما يدل على شدة ورعه الذى كان

لا يفارقه فى أى حال من الأحوال ، وكم من الناس ، وكم من العلماء الذين تورعوا مثل هذا التورع ، و اتخذوا من الحيطة و الحذر فى الأمور مثل هذا ، و تنازلوا عن حقوقهم و ملذاتهم المباحة هكذا ؟ ! « و لكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

وكان لا يخاف فى الحق لومة لائم ، فيواجه الملوك و الأمراء باستنكار و استياء إذا صدر منهم ما يراه خلافاً للعدل أو يحسبه تعدياً على الناس و اعتداء على الحقوق ، و سرعان ما كان يتناولهم بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، أو يكتب إليهم الرسائل ناصحاً بالعدل ، و إبطال المكوس و تخفيف الضرائب و رد الحقوق إلى أهلها ، وكانت له فى ذلك مواقف محمودة مع الملك الظاهر ، و بذلك حصلت له منازل عالية فى المجاهرة بالحق و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، حتى شدت إليه الرحال ، و استفاد منه الناس على تباين مذاهبهم واختلاف مسالكهم ، قال أبو العباس بن فرج الأشبيلى تلميذه الكبير :

« كان الشيخ قد صارت إليه ثلاث مراتب ، كل مرتبة منها لو كانت لشخص شدت إليه الرحال ، المرتبة الأولى : العلم ، و المرتبة الثانية : الزهد ، و الثالثة : الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر » .

و قال اليونينى :

« إنه واقف الظاهر غير مرة بدار العدل بسبب الحوطة على بساتين دمشق و غير ذلك » و قال العماد بن كثير : إنه قام على الظاهر فى دار العدل فى قضية الغوطة ، لما أرادوا وضع الاملاك على بساتينها فرد عليهم فى ذلك ، و وقى الله شرها بعد أن غضب السلطان ، و أراد البطش به

ثم بعد ذلك أحبه و عظمه ، حتى كان يقول : أنا أفزع منه » .

و له مؤلفات كثيرة كلها تشير إلى اطلاعه الواسع على المصادر الدينية و تعمق نظره فى أحكام الدين ، و قضايا الشريعة ، و تبحره فى السنة و استنباط الأحكام و شرح معانيها ، منهـا شرح صحيح مسلم ، و رياض الصالحين ، والأذكار ، و الأربعين ، و المهمات ، و طبقات الفقهاء و تهذيب الأسماء و اللغات ، و مختصر أسد الغابة ، و التبيان ، والمنهاج ، و الروضة ، و الفتاوى ، و الايضاح ، و الايجاز ، و خلاصة الأحكام فى مهمات الأحكام ، و ما إلى ذلك من مؤلفات عديدة .

و بهذا المزايا و الخصائص بلغ النووى إلى أعلى منصب فى الدين ، و درجة « الحافظ » و « الأمام » فى السنة ، وقد لقبه العلماء بشيخ الاسلام، و عرفه التاريخ بالرجل العظيم ، و تلقاه الناس بالقبول أينما ذهب وسار ، و حيثما رحل و حل .

توفى ـ رحمه الله ـ فى ليلة الأربعـاء أربع و عشرين من رجب سنة ٦٧٦هـ فى عمر لا يتجاوز خمساً و أربعين سنـة ، و بوركت أعماله و خدماته حتى تجاوزت الحد والعد على قصر عمره ، وقلة مدته .

و قد عاش ما عاش فى محيط العلم و الورع ، لا يكاد يخرج منه لمحـة واحدة ، فبارك الله فى وقته ، و عمله ، و جعله قدوة يقتدى ، و نموذجاً يحرص على تقليده ، و مثالا رائعاً يخلد مع التاريخ .

العالم الإسلامي

تحية إلى الصحافة الاسلامية فى الكويت

ما زلت أتابع الصحافة الاسلامية الحديثة فى الكويت ، حتى اشتد ذرعها و استوى ساقها بصدور جريدة « البلاغ » و جريدة « المجتمع » ، فكانتا من أقوى الصحف الاسلامية العربية بعد جريدة «الاخوان المسلمون» التى صدرت فى القاهرة قبل عقد من السنين ، بل حين كان للاخوان فى مصر شأن يذكر ، و جانب يرهب ، و كلمة تسمع ، و قد طبع العدد الثانى منها - كما يذكر - ثمانين ألف نسخة ؛ فأقض ذلك مضاجع المستعمرين فأعقبت صدورها زلازل وأهوال فى الحياة السياسية ، واحتجبت الجريدة .

ذكر العدد الأخير للزميلة الكريمة « المجتمع » ذلك الحادث الذى طواه الزمان و طوارق الحدثان ، فما أشبه الليل بالبارحة ، و كم بين تلك الجريدة و هذه ، من نقلة بعيدة و مسافة عقلية و سياسية ، إنه حديث ذو شجون و ذو فنون ، و لا أريد أن استرسل فيه ، و لكن اكتفى فى هذه الساعة بالتحية والاعجاب والتقدير ، والاعتراف لهذه الأقلام الجريئة الواعية التى تعتز بها الصحافة الاسلامية المعاصرة فى الكويت .

فقد أعجبنى فيها فهمها العميق للقضية وإدراكها للواقع الدقيقة الحساسة، و شعورها لمواضع الضعف و الثغرات التى تتسرب بها السموم إلى جيل المستقبل ، و الأخطار التى تهدد الجبهة الاسلامية ، و المؤامرات التى تحاك حولها ، و الأساليب التى يستخدمها الاستعمار الأبيض (و هو الاستعمار الأمريكى) و الاستعمار الأحمر (و هو الاستعمار الروسى) و الاستعمار الأصفر (وهو الاستعمار الصينى) فالقوى الثلاث تألبت اليوم على الجبهة

الاسلامية سواء فى تركيا أو باكستان أو فى البلاد العربية ؛ لأنها ترى فيها إيقاظ الأسد النائم ، هنالك تتلاشى كل النزاعات ، و تذوب سائر الخلافات إشفاقاً من « الخطر الأكبر » أو فى تعبير أصح من نداء « الله أكبر » .

إن نصيب الصحافة و الاعلام لا يقل من نصيب التربية و المعارف فى هذه الأيام ، إن الجهاز الموجه للطفل ظل ينتقل بالتدريج من الروضة و المدرسة إلى بيته حيث يقضى أكثر ساعات العمر ، و يلهو و يلعب بين البرامج الغنائية و الراقصة ، و مؤامرات جيمس بوند فى التلفزيون ، و يتسلى بالصور العارية فى مجلات الثوريين و الاشتراكيين وعملاء المستعمرين ، فتنسخ هذه «الدروس المنزلية المستمرة» مايسمعه أحياناً فى المساجد أو ما يقرأه فى ساعة من ساعات الفصل .

ثم تأتى مشكلة الأيدى المؤجهة التى تضع كل هذه المخططات و تستغل مواضع « الضعف النفسى » فى المجتمع ليسوقه فى الأخير إلى الهاوية التى لا يستطيع منها الخروج ، و لا ينفع عندها الندم ، و يفلت منه الزمام .

فتحية إلى صحافتنا التى أدركت هذا الخطر ، و هذه المؤامرة ، و بدأت تعالجها بنفس الأسلوب ، و بنفس الجدارة ، و نفس الذكاء بل أكثر ، فالحديد لا يقرع إلا بالحديد ، والسيل لا يمسكه إلا سيل مثله ، و ذلك من حكمة الايمان ، و فراسة المؤمن .

تحياتنا إليها من وراء البحار على جناح الأهداف التى نلتقى عليها ، و الأساليب التى نستخدمها ، و العهد الذى قطعناه على أنفسنا ثقة بالله عز وجل ، « و ما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » « و مكروا ومكر الله والله خير الماكرين » .

محمد الحسنى

أخبار اجتماعية و ثقافية

★ زار الهند فى الأسبوع الأول من شهر يوليو السيد أحمد توتونجى الأمين العام للاتحاد الاسلامى الدولى لمنظمات الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة ، و قد وصل السيد توتونجى إلى لكهنؤ و زار ندوة العلماء و مكتب « البعث الاسلامى » و تحدث إلى نخبة من العلماء و رجال الفكر الذين اجتمعوا فى قاعة دار العلوم بدعوة سماحة الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوى ، و تحدث السيد توتونجى عن النشاطات التى يقوم بها اتحاد منظمات الطلبة فى مختلف الدول العربية ، لنشر تعاليم الاسلام ، و شرح الفكرة الاسلامية و الدعوة إلى الاسلام ، و رداً على خطابه ألقى سماحة الشيخ الندوى كلمة وجيزة رحب فيها بالسيد توتونجى ، و أوضح النواحى الهامة للدعوة ، و العمل ؛ و صرح أن الفكرة الغربى أخطر من الحضارة الغربية نفسها ، و مكافحة الفكر الغربى الذى يسيطر على قلوب و أفكار الطبقة المتعلمة و المثقفة من المسلمين هى الطريق الوحيد لاعادة هذه الطبقة إلى الفكر الاسلامى النزيه ، و أكد الشيخ كل تائيد و تشجيع لنشاطات اتحاد الطلبة من مسلمى الهند .

و تحدث السيد توتونجى فى مناسبات و اجتماعات مختلفة فى مدن هندية أخرى ، و قد عقد معهد الدراسات الاسلامية فى دلهى الجديدة اجتماعاً لاستقباله ، حضره عدد كبير من رجال العلم و الثقافة من المسلمين و غير المسلمين ، واشترك أيضاً سفير الكويت و المملكة العربية السعودية ، و ممثل جامعة الدول العربية فى الهند .

و صرح السيد أحمد توتونجى فى خطاب ألقاه بهذه المناسبة أن الاسلام قد أسيئ فهمه ، و تعرض أيضاً لنشاط كبير للتضليل ، و ذكر فى ذلك الصدد المستشرقين ، و الارساليين المسيحيين الذين يبثون دعاية كاذبة ضد الاسلام و تعليماته ، وقد أثرت أفكارهم و عقائدهم القائمة على التضليل و التشويه فى عقول عدد كبير من المتعلمين المسلمين، وأضاف العالم العراقى يقول : إن الاسلام أكثر الأديان علاقة و انسجاماً مع العصر الحديث والعلم و يقدم رداً مقنعاً لجميع التحديات العصرية ، و لكن الأمر المؤسف له أن المسلمين أنفسهم لا يثبتون جدارتهم لمواجهة هذا الوضع .

وقد اجتمع السيد توتونجى خلال زيارته للهند بزعماء الطلبة المسلمين فى لكهنؤ ، دلهى ، و عليجراه ، و كلكتا ، و تحدث فى اجتماعات طلابية مختلفة ، ونشرت الصحف الهندية الاسلامية خطب السيد توتونجى بأهمية و علقت عليها فى افتتاحياتها .

★ وصل فى ١٣ من شهر يوليو إلى دار العلوم ندوة العلماء نائب الأمين العام لندوة العلماء الشيخ محمد معين الندوى ، عائداً من الربوع المقدسة ، بعد ما قضى فيها خمسة أشهر ، زار خلالها المدينة المنورة حيث أقام مدة لا بأس بها .

و قد اتصل الشيخ محمد معين الندوى خلال إقامته فى الربوع المقدسة بالشخصيات البارزة هناك ، وشرح لهم فكرة ندوة العلماء ورسالتها التى قامت عليها و استلفت أنظارهم إلى دعم هذه المؤسسة العظيمة و نشر رسالتها التى هى ليست معقل المسلمين الاسلامى فى الهند وحدها ، بل إنها حاجة المسلمين فى العالم الاسلامى كله ، و قد نال الشيخ محمد معين كل حفاوة

و ترحيب من قبل هذه الشخصيات التى تمثل مختلف طبقات المجتمع .

و تقلد الشيخ معين مهام العمل ؛ و بدأ يقوم بواجباته ومسئولياته .

★ فى ٢٦ من شهر يوليو زار دار العلوم لندوة العلماء الدكتور عبد الله عباس الندوى قادماً من مكة المكرمة حيث هو يشغل منصباً محترماً فى رابطة العالم الاسلامى ، و الدكتور عبد الله عباس من نجباء تلاميذ الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى ، و قد كان رئيس قسم الأدب العربى بدار العلوم قبل مدة ، و قد أقامت جمعية اتحاد الطلبة بدار العلوم حفلة ترحيب بمناسبة قدومه إلى الدار ، ألقى فيها الدكتور الندوى كلمة ذكر فيها بعض تجاربه العلمية ، وعلاقته بدار العلوم و أستاذه الجليل السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى ، وقال للطلاب : إن وجود الداعية الاسلامى فضيلة الأستاذ الندوى فى هذه الدار لنعمة كبرى من الله خصكم الله بها ، فاعرفوا قيمة هذه النعمة و انتفعوا بها قبل أن تفوت الفرصة .

و هو يزور الهند فى هذه الأيام ، و يقضى بعض الوقت فى وطنه « پهلوارى » (بتنه) ثم يرجع إلى مقر عمله فى نهاية الأسبوع الأول من شهر أغسطس .

فتاوى الشامى

كان هذا الكتاب مفقوداً فى المكتبات الاسلامية منذ مدة و نظراً إلى حل هذه المشكلة قمنا بطبع مجلداته الخمسة (بالفوتو آفست) و يوجد الآن لدينا عدد من نسخ هذا الكتاب ، فمن أراد أن يقتنى هذه الذخيرة العلمية فليسرع ، لأن الاقبال متزائد ،

ثمن النسخة الكاملة مأتان و خمسون روبية أو ما يعادلها عدا أجرة البريد — والخصم ٣٣ فى المأة .

و كذلك يوجد عندنا « فيض البارى شرح البخارى » ثمن النسخة الكاملة ستون روبية أو ما يعادلها عدا أجرة البريد .

العنوان : مدير المكتبة النعمانية - ديوبند (يوپى) الهند

البعث الاسلامى

شهرية إسلامية جامعة

الاشتراكات

فى الهند و باكستان : عشر روبيات - ثمن النسخة روبية واحدة

فى العالم العربى : جنيه و ربع (استرلينى) (بالبريد العادى)

« « ثلاثة جنيهات إلا ربع (استرلينى) (بالبريد الجوى)

فى افريقيا الجنوبية والشمالية : جنيه وربع (استرلينى) (بالبريد العادى)

« « ثلاثة جنيهات ونصف « (بالبريد الجوى)

المراسلات

العنوان البعث الاسلامى ، دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

الهاتف : ٢٩١٧٤ — ٢٢٩٤٨

برقية NADWA, Lucknow

الاشتراكات فى باكستان ترسل إلى مجلة « البلاغ » دار العلوم كراچى رقم ١٤ باكستان

الوكالات

- مكتبة المنار الكويت
- مكتبة الآداب الرياض السعودية
- مكتبة النور طرابلس الغرب ليبيا
- المكتب الاسلامى ص ب ٣٧٧١ بيروت
- مكتبة الثقافة الدوحة قطر
- إقبال الندوى الجامعة الاسلامية المدينة المنورة السعودية
- الدار السعودية للنشر ص ب ٢٠٤٣ جده (السعودية)
- مكتبة الحرمين ص ب ٥١١ الدمام (السعودية)
- مكتبة الأندلس ص ب ٤٦٤٥ كريتر - عدن
- محل قاسم سفيان ص ب ٢٤٢ تعز - جمهورية اليمن
- مكتبة المنار ميدان التحرير - صنعاء - اليمن
- المكتبة الحديثة - دبى (الخليج العربى)